



ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: <http://www.jtuh.tu.edu.iq>

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

Lure Method of Induction in the Qur'anic Statement

A B S T R A C T

Prof.Dr.Mohammad.Y. Khudhur

.Prof.Dr.AbdulWahhab.H. Khalaf

Tikrit University-college of Education for the Humanities

* Corresponding author: E-mail : mohammad.y.k@tu.edu.iq

Keywords:

Lure-
method –
Qur'anic-
statement-
his words
- his eloquence

ARTICLE INFO

Article history:

Received 4 July. 2021

Accepted 17 Aug 2021

Available online 25 Jan 2022

E-mail

journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.iq

E-mail : adxxx@tu.edu.iq

This research deals with an important term among the rhetoric terms, which is the term of enticement, which we did not see anyone presented it rhetorically in an independent research on the limits of our standing and following it, and as an attraction to the addressee with what affects and makes him feel comfortable, or what frightens and terrifies him before the surprising request of the addressee. It is a broad chapter, which contains a disposition of speech as a person disposes of

his states and actions in a way that will benefit him

By extrapolation, it appears that this term has a concern in the verses of the Holy Qur'an and a place in them, as well as its purposes and methods that were distinguished in Allah's Book, and how scholars interpreted the noble verses, and excelled in revealing this art in their interpretations, as well as books of rhetoric. Ibn al-Atheer is the first to refer to this Art, and he drew attention to it in the Book of Allah Almighty, explained and discussed the evidence that leads to many cases of rhetoric, how not when he deduced it from the Holy Qur'an.

Concerning the research plan, it dealt with a preface, two chapters, and a conclusion. Induction with graphic images from metaphor and a metaphor. The second chapter deals with the occurrence of luring by structural methods of demand. The third chapter deals with the innovative methods of lure such as flirtation, deception, fallacy, fairness of the opponent and others. The conclusion contained the most important results that were extracted from the research.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI:<http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.1-1.2022.7>

أسلوب الاستدراج في البيان القرآني

أ.د. محمد ياس خض / جامعة تكريت - كلية التربية للعلوم الإنسانية ر

أ.د. عبد الوهاب حسين خلف / جامعة تكريت - كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة:

يتناول هذا البحث مصطلحا مهما من مصطلحات علوم البلاغة ألا وهو مصطلح الاستدراج ، والذي لم

نَرَّ أحدًا قد عرضه بلاغيا في بحث مستقل على حدود وقوفنا وتتبعنا له ، وهو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس إليه ، أو ما يخوفه ويرعبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه ، وهو باب واسع ، وفيه من التصرف في الكلام كتصرف الإنسان في أحواله وأفعاله بما يعود عليه نفعه .

وبالاستقراء ظهر أن لهذا المصطلح شأنًا في آيات الذكر الحكيم ومكانة فيها فضلا عن أغراضه وأساليبه التي انماز بها في كتاب الله ، وكيف فسر العلماء الآيات الكريمة ، وأبدعوا في كشف هذا الفن في تفاسيرهم ، وكذا كتب أهل البلاغة ، ويعد ابن الأثير أول من أشار إلى هذا الفن ، وتنبه له في كتاب الله تعالى ، وشرح وناقش الأدلة التي تفضي إلى الكثير من أحوال البلاغة ، كيف لا وقد استنبطه من القرآن الكريم .

أما خطة البحث فقد تناولت تمهيدا ومبحثين وخاتمة ، عرضنا في التمهيد للتعريف بالمصطلح وأقوال العلماء فيه ، أما المبحث الأول فيتناول الألفاظ المتقاربة معه كالكيد والمكر والإمهال والإملاء ، مع بيان الفروق الدقيقة فيما بينها ، ثم المبحث الثاني وقُسِّم على علوم البلاغة الثلاثة: المطلب الأول وهو في الاستدراج بالصور البيانية من استعارة وكناية ، والمطلب الثاني في وقوع الاستدراج بالأساليب الإنشائية الطلبية ، والمطلب الثالث تناول الأساليب البديعية للاستدراج كالملاطفة والإيهام والمغالطة وإنصاف الخصم وغيرها ، وحوت الخاتمة على أهم النتائج التي استخلصت من البحث .

الكلمات المفتاحية

أسلوب ، الاستدراج ، البيان ، القرآني، ألفاظه ، بلاغته

المقدمة

يتناول هذا البحث مصطلحا مهما من مصطلحات علوم البلاغة ألا وهو مصطلح الاستدراج ، والذي لم نَرَّ أحدًا قد عرضه بلاغيا في بحث مستقل على حدود وقوفنا وتتبعنا له ، وهو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس إليه ، أو ما يخوفه ويرعبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه ، وهو باب واسع ، وفيه من التصرف في الكلام كتصرف الإنسان في أحواله وأفعاله بما يعود عليه نفعه .

وبالاستقراء ظهر أن لهذا المصطلح شأنًا في آيات الذكر الحكيم ومكانة فيها فضلا عن أغراضه وأساليبه التي انماز بها في كتاب الله ، وكيف فسر العلماء الآيات الكريمة ، وأبدعوا في كشف هذا الفن في تفاسيرهم ، وكذا كتب أهل البلاغة، ويعد ابن الأثير أول من أشار إلى هذا الفن ، وتنبه له في كتاب الله تعالى ، وشرح وناقش الأدلة التي تفضي إلى الكثير من أحوال البلاغة ، كيف لا وقد استنبطه من القرآن الكريم

أما خطة البحث فقد تناولت تمهيدا ومبحثين وخاتمة ، عرضنا في التمهيد للتعريف بالمصطلح وأقوال العلماء فيه ، أما المبحث الأول فيتناول الألفاظ المتقاربة معه كالكيد والمكر والإمهال والإملاء ، ثم المبحث الثاني وقُسّم على علوم البلاغة الثلاثة: المطلب الأول وهو في الاستدراج بالصور البيانية من استعارة وكناية ، والمطلب الثاني في وقوع الاستدراج بالأساليب الإنشائية الطليبية ، والمطلب الثالث تناول الأساليب البديعية للاستدراج كالملاطفة والإيهام والمغالطة وإنصاف الخصم وغيرها ، وحوت الخاتمة على أهم النتائج التي استخلصت من البحث .

التمهيد :

الاستدراج لغة :

قال ابن فارس : ((دَرَجَ الدَّالُّ وَالرَّاءُ وَالْجِيمُ أَضْلًا وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُضِيِّ الشَّيْءِ وَالْمُضْيِ فِي الشَّيْءِ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ دَرَجَ الشَّيْءُ ، إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ . وَرَجَعَ فَلَانٌ أَدْرَجَهُ ، إِذَا رَجَعَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ . وَدَرَجَ الصَّبِيُّ ، إِذَا مَشَى مَشِيَّتَهُ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : دَرَجَ الرَّجُلُ ، إِذَا مَضَى وَلَمْ يُخْلِفْ نَسْلًا . وَمَدَارِجُ الْأَكْمَةِ : الطَّرُقُ الْمُعْتَرِضَةُ فِيهَا . قَالَ :

تَعَرَّضِي مَدَارِجًا وَسُومِي ... تَعَرَّضُ الْجَوَازِ لِلنُّجُومِ))^١

والاستدراج من استدرج ، ((واستدرجه ، بِمَعْنَى ، أَي أَدْنَاهُ مِنْهُ عَلَى التَّدرِجِ ، فَتَدَرَّجَ هُوَ))^(٢) .

وفي التنزيل الكريم قوله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢] ، ومعناه كما ((قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : سَنَطْوِي أَعْمَارَهُمْ فِي اغْتِرَارٍ مِنْهُمْ ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الْإِسْتِدْرَاجُ أَنْ تَدْرُجَ إِلَى الشَّيْءِ فِي خُفْيَةٍ قَلِيلًا قَلِيلًا وَلَا تَهْجُمَ عَلَيْهِ وَأَضْلُهُ مِنَ الدَّرَجَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّاقِي وَالنَّازِلَ يَرْقَى وَيَنْزِلُ مِرْقَاةً مِرْقَاةً وَمِنْهُ دَرَجَ الْكِتَابَ طَوَاهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ وَدَرَجَ الْقَوْمَ مَاتُوا بَعْضُهُمْ فِي إِثْرِ بَعْضٍ ، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : هُوَ أَنْ يُذَيِّقَهُمْ مِنْ بَأْسِهِ قَلِيلًا قَلِيلًا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَلَا يُتَابِعُهُمْ بِهِ وَلَا يُجَاهِرُهُمْ ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ سَنَأْخُذُهُمْ قَلِيلًا قَلِيلًا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْتَحُ بَابًا مِنَ النِّعْمَةِ يَغْتَبِطُونَ بِهِ وَيَرْكَنُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ يَأْخُذُهُمْ عَلَى غَرَّتِهِمْ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ انْتَهَى وَمِنْهُ دَرَجَ الصَّبِيُّ إِذَا قَارَبَ بَيْنَ خُطَاهُ وَالْمَعْنَى سَنَسْتَرِفُّهُمْ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ وَدَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ بِالنِّعَمِ عَلَيْهِمْ وَالْإِمْهَالِ لَهُمْ حَتَّى يَغْتَرُّوا وَيَظُنُّوا أَنََّّهُمْ لَا يَنَالُهُمْ عِقَابٌ ، وَقَالَ الْجُبَّائِيُّ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ إِلَى الْعُقُوبَاتِ حَتَّى يَقَعُوا فِيهَا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَذَابُ فِي الدُّنْيَا كَالْقَتْلِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَذَابُ الْآخِرَةِ ، وَقَالَ الرَّمَحْشَرِيُّ : وَمَعْنَى سَنَسْتَدْرِجُهُمْ سَنَسْتَدِينُهُمْ قَلِيلًا قَلِيلًا إِلَى مَا يُهْلِكُهُمْ وَيُضَاعِفُ عِقَابَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ مَا يُرَادُّ بِهِمْ وَذَلِكَ أَنْ يُؤَاتَرَ اللَّهُ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ مَعَ انْهِمَاكِهِمْ فِي الْعِيِّ فَكَلَّمَا جَدَّدَ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً ارْزَادُوا بَطَرًا وَجَدَّدُوا مَعْصِيَةً فَيَتَدَرَّجُونَ فِي الْمَعَاصِي بِسَبَبِ تَرَادُّفِ النِّعَمِ ظَانِينَ أَنَّ مُوَاتَرَةَ النِّعَمِ أَنْتَرَهُ مِنَ اللَّهِ وَتَقْرِيبٌ ، وَإِنَّمَا هِيَ

خَذْلَانٌ مِنْهُ وَتَبَعِيْدٌ فَهَذَا اسْتِدْرَاجُ اللَّهِ نَعُوْذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ، مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُوْنَ قِيْلَ: بِالْاِسْتِدْرَاجِ، وَقِيْلَ: بِالْهَلَاكِ ^(٣) ، ((يقال استدراج فلان فلانا إذا أتى بأمر يريد ليلقيه في هلكة ، ولا يكون الاستدراج إلا حالا بعد حال ومنه فلان يدرج فلانا ومنه أدرجت الثوب والاستدراج إلى الشيء : هو الإغراء به ، وتيسير السبل إليه ، حتى يقع فيه من استدراج إليه)) ^(٤) .

ومعنى حالا بعد حال : ((هو الأخذ بالتدريج ، منزلة بعد منزلة، والدرج : لف الشيء ؛ يقال : أدرجته ودرجته. ومنه أدرج الميت في أكفانه. وقيل : هو من الدرجة ؛ فالاستدراج أن يحط درجة بعد درجة إلى المقصود)) ^(٥) .

وقد قيل: إذا رأيت الله - تعالى - أنعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج ، فالاستدراج : ((هو كُمون المحنة في عين المنة، وهو من درج الصبي إذا أخذ في المشي شيئاً بعد شيء، ومنه: الدرج الذي يُرتقى عليه إلى العلو، كذلك المستدرج هو الذي تُؤخذ منه النعمة شيئاً بعد شيء وهو لا يشعر، قال تعالى : ﴿سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٦)) فالاستدراج ليس خاصاً بالكفار، بل يكون في المؤمنين خواصهم وعوامهم ^(٦))) ، ((ثُمَّ شَاعَ إِطْلَافُهُ عَلَى مُعَامَلَةٍ حَسَنَةٍ لِّمُسِيءٍ إِلَى إِبَّانٍ مُّقَدَّرٍ عِنْدَ حُلُولِهِ عِقَابُهُ)) ^(٧) .

اصطلاحاً:

عرّفه ابن الأثير في الجامع الكبير بقوله: ((هو التوصل إلى حصول الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به، وفي ذلك من الغرائب والدقائق ما يؤثّق السامع ويطرّبه، لأن مبنى صناعة التأليف عليه ومنتشأها منه)) ^(٨) .

وعرفه ابن الأثير الحلبي (ت ٧٣٧ هـ) بقوله : ((يقال استدراج فلان فلانا اذا توصل الى حصول مقصوده من غير أن يشعره من أول وهلة ، والمراد بذلك الملاطفة في الخطاب ولزوم الأدب في الكلام مع المخاطب بحيث لا تنفر نفسه قبل حصول المقصود منه)) ^(٩) .

وعرف التنوخي الاستدراج وعدّه من علم البيان بقوله : ((ومن البيان الاستدراج ، وهو استمالة المخاطب بما يؤثّر ويأنس إليه أو ما يخوفه ويرعبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه ، وهذا باب واسع، وهو أن يقدم المخاطب من ترغيب وترهيب وإطماع وتزهيد ، وأمزجة الناس تختلف في ذلك فينبغي أن يستمال كل شخص بما يناسبه وهذا لا يؤثر فيه التعليم إلا يسيراً ، بل ينبغي أن يكون في مزاج الانسان قوة تؤديه إلى ذلك ، وهي تصرف في الكلام كتصرف الانسان في أحواله وأفعاله بما يعود عليه نفعه)) ^(١٠) .

وذكر هذا اللون ابن قيم الجوزية في كتابه الفوائد^{١١} ، ونقل كلام ابن الأثير في ذكر هذا الفن البلاغي وذكر الأمثلة المتضمنة لآيات الذكر الحكيم فيه .

وجاء عند الكفوي في الكليات ((الاستدراج هو أن يعطي الله العبد كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بعدا من الله تعالى))^(١٢) .

أولية هذا المصطلح

يعد ابن الأثير أول من أشار إلى هذا الفن ، وتنبه له في كتاب الله تعالى ، وشرح وناقش الأدلة التي تقضي إلى الكثير من أحوال البلاغة ، كيف لا وقد استنبطه من القرآن الكريم بقوله : ((وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى ، وهو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال ، والكلام فيه وإن تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط ، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ، وإذا حُقق النظر فيه عُلِمَ أن مدار البلاغة كلها عليه ؛ لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة والمعاني اللطيفة الدقيقة ، دون أن تكون مستجابة لبلوغ غرض المخاطب بها ، والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيراً في خلافه^(١٣) ، لا قصيراً في خطابه ، فإذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم إلى إلقاء يده وإلا فليس بكاتب ولا شبيه له إلا صاحب الجدل ، فكما أن ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية))^(١٤) .

لكن محيي الدين درويش لم يرتض نسبة هذا الفن لابن الأثير وزعم أنه استلب فكرته من الزمخشري فقال: ((وقد أحسن الإمام الزمخشري في تحليل هذا الفن وإن لم يسمه فحلل هذا الفصل تحليلاً عجيباً وقد شاء ضياء الدين بن الأثير الذي استخرج هذا الفن أن يُغير على فصل الزمخشري فنسفه برمته ونسبه إليه وسننصف الزمخشري من ساليه فننقل فصله برمته وعلى طوله فهو كالحسن غير مملول))^{١٥} ، ثم ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ومحاورته لأبيه^{١٦} - وستأتي - فعدم تسمية هذا الفن لا يعدّ استخراجاً ولا اكتشافاً له أما تحليله في الكلام فقد تكلم عليه الكثير ، وجمعا بين الرأيين فترى أن ابن الأثير انقح في ذهنه هذا الفن من تحليل الزمخشري للقصة المذكورة ؛ لذا أتى بها مباشرة منقولة بعد التعريف بهذا الفن.

المبحث الأول: ألفاظ الاستدراج

وردت ألفاظ متقاربة ولا نقول مترادفة مع مصطلح الاستدراج بينها أصحاب المعاجم والتعريفات والتفاسير منها:

الكيد: وهو مصطلح مقارب لهذا الفن جاء في ((الكيد إرادة مضرة الغير حقيقة ، وهو من الأخلاق الحيلة السيئة ، ومن الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق ، وقال الراغب الكيد ضرب من الاحتيال ، ويكون محموداً ومذموماً ، وإن كان استعماله في المذموم أكثر))^(١٧) ، ((وكذلك الاستدراج

والمكر، ويكون بعض ذلك محمودا ، قال: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ لِيُؤْثِرَ﴾ (يوسف: ٧٦))^(١٨) ، و (الكيد) لم يضبط تحديد معناه في كتب اللغة ، وظاهره أنه يرادف المكر والحيلة ، إلا أن بينهما فرقا دقيقا ، قال الطاهر : ((وَهُوَ يَتَّضِي أَنَّ الْكَيدَ أَحْصَى مِنَ الْإِخْتِيَالِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ غُلِبَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْإِخْتِيَالِ عَلَى تَحْصِيلِ مَا لَوْ أُطْلِعَ عَلَيْهِ الْمَكِيدُ لَاحْتَرَزَ مِنْهُ، فَهُوَ إِخْتِيَالٌ فِيهِ مَضَرَّةٌ مَا عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، فَمُرَادُ الرَّاغِبِ بِالْمَذْمُومِ الْمَذْمُومُ عِنْدَ الْمَكِيدِ لَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَقَالَ ابْنُ كَمَالٍ بَاشَا: الْكَيدُ الْأَخْذُ عَلَى خَفَاءٍ ، وَلَا يُعْتَبَرُ فِيهِ إِظْهَارُ الْكَائِدِ خِلَافَ مَا يُبْطِنُهُ ، وَيَتَحَصَّلُ مِنْ هَذِهِ التَّدْقِيقَاتِ: أَنَّ الْكَيدَ أَحْصَى مِنَ الْحِيلَةِ وَمِنَ الْإِسْتِدْرَاجِ))^(١٩).

وكذا المكر من الاستدراج ((والمكر : إخفاء الكيد وطيئه ، من الجارية الممكورة المطوية الخلق))^{٢٠} ، مأخوذ من ضَرْبٍ مِنَ النَّبَاتِ ((وَهُوَ شَجَرٌ مُلْتَفٌّ، فَكَانَ الْمَمْكُورُ بِهِ يَلْتَفُّ بِهِ الْمَكْرُ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ: امْرَأَةٌ مَمْكُورَةٌ إِذَا كَانَتْ مُلْتَفَّةَ الْخَلْقِ))^(٢١) ، والمكر : إخفاء الكيد ، يُقَالُ: مَكَرَ اللَّيْلُ إِذَا أَظْلَمَ وَاشْتَقَّقَهُ مِنَ الْمَكْرِ، وَهُوَ أَيْضًا مِنَ الشَّجَرِ الْمُلْتَفِّ^(٢٢) ، كأنه يخفي من يستتر فيه ، ((وقال أهل المعاني: المكر: السعي في الفساد في ستر ومداجاة، وأصله من قول العرب: مكر الليل))^(٢٣) ، ومنه قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ سبأ: ٣٣ لكن القرآن الكريم ذكر مكر الليل والنهار أيضا ، ومنه أيضا قوله سبحانه : ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ يونس: ٢١ ، وهو من الله تعالى إما الاستدراج أو الجزاء على المكر ، وتسمية عقوبة الله مكرًا من باب «المشاكلة»^(٢٤) ، قال الماوردي في تفسيره: ((وإنما جاز قوله: {وَمَكَرَ اللَّهُ} على مزوجة الكلام وإن خرج عن حكمه ، نحو قوله: ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ يَمْثِلْ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ١٩٤ ، وليس الثاني اعتداء ، وأصل المكر: الالتفاف ، ولذلك سمي الشجر الملتف مكرًا ، والمكر هو الاحتيال على الإنسان لالتفاف المكروه به ، والفرق بين المكر والحيلة أن الحيلة قد تكون لإظهار ما يعسر من غير قصد إلى الإضرار ، والمكر: التوصل إلى إيقاع المكروه به))^(٢٥).

((وقوله ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾ ٥٤ آل عمران: ٥٤ معناه في أنه فاعل في حق في ذلك ، والماكر من البشر فاعل باطل في الأغلب ؛ لأنه في الأباطيل يحتاج إلى التحيل والله سبحانه أشد بطشا وأنفذ إرادة ، فهو خير من جهات لا تحصى لا إله إلا هو))^(٢٦)

((والمكر أطف التدبير))^(٢٧)، قال تعالى : ((وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ الأنفال: ٣٠ وَالْمَكْرُ من الله: التَّدْبِيرُ بِالْحَقِّ، وَقِيلَ: هُوَ الْأَخْذُ بَغْتَةً))^(٢٨).

والتيسير من مقاربات الاستدراج كاستدراج الله سبحانه وتعالى لهؤلاء الذين كذبوا بآيات الله ، فهو تزيين المنكر لهم ، وتيسير سبلهم إليه ، كما يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ يَبْخُلْ وَأَسْتَفْقِ﴾ ^(٨) وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ^(٩) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ^(١٠)﴾ الليل: ٨ - ١٠ ، ((والتيسير يكون في الخير والشر وفي التنزيل العزيز فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى فهذا في الخير وفيه فسنييره للعُسْرَى فهذا في الشر وأنشد سيبويه

أَقَامَ وَأَقْوَى ذَاتَ يَوْمٍ وَخَيْبَةً لَأَوَّلٍ مِنْ يَلْقَى وَشَرَّ مُيسِرٍ))^(٢٩)

ويرى الفراء أن التيسير على معناه من السهولة لكن : ((فهل في العسرى تيسير؟ فيقال في هذا في إجازته بمنزلة قول الله تبارك الله وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ^(٣٠) التوبة: ٣، والبشارة في الأصل عَلَى المفرح والसार فإذا جمعت في كلامين: هَذَا خَيْرٌ، وَهَذَا شَرٌّ جاز التيسير فيهما جميعاً، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: فَسَنِيَرُهُ سَنِيَهُهُ ، والعرب تقول: قَدْ يَسَّرَتِ الْغَنَمُ إِذَا وَلَدَتْ وَتَهَيَّأَتْ لِلْوَلَادَةِ: وَقَالَ الشَّاعِرُ (٣٠) :

هما سيدانا يزعمان وإنما ... يسوداننا أن يَسَّرَتِ غنماهما))^(٣١)

((واليسرى هاهنا: الأعمال التي يستحقون بها الجنة، والعسرى: الأعمال التي يستوجبون بها النار في الآخرة))^(٣٢) ، ((واستعمال التيسير مع العسرى، مبالغة في الوعيد والنذير لمن بخل واستغنى))^(٣٣) ، وهم في هذا الطريق الذي ركبوه لا يدرون أنهم على شفا جرف هار ، فقد أعماهم الضلال عن أن يروا وجه الحق أبداً ، فلعل تسمية طريق ضلالهم بالتيسير إيهاما ، فهم يظنون أنه طريق اليسر والنجاة .

والتزيين من مقاربات الاستدراج ((وقد نسب الله تعالى التزيين في مواضع إلى نفسه، وفي مواضع إلى الشيطان، وفي مواضع ذكره غير مسمى فاعله، فمما نسبته إلى نفسه قوله في الإيمان: ﴿وَزَيَّنُّهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات/ ٧] ، وفي الكفر قوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل/ ٤] ، ... ومما نسبته إلى الشيطان قوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الأنفال/ ٤٨] ... ومما لم يسم فاعله قوله عز وجل: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ : [آل عمران/ ١٤]))^(٣٤) ، وهذا الأخير داخل في تزيين الحق سبحانه امتحانا واختبارا .

((والتزيين من الله هُوَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ الْحَسَنَةَ وَالْمَنَاطِرَ الْمَعْجِبَةَ، فَنَظَرَ الْخَلْقَ إِلَيْهَا بِأَكْثَرٍ مِنْ قَدَرِهَا، فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ، فَفَتَنُوا بِهِ؛ [فَذَلِكَ] التَّزْيِينُ مِنَ اللَّهِ))^(٣٥)، والتزيين من الشيطان هو قلب الحقائق؛ إذ ((إنهم ... يرون الخير شرًا، والشرَّ خيرا ، والحق باطلا ، والباطل حقا))^(٣٦).

فالزينة تكون من الله تعالى محنة وبلاء كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾^(٣٧) الكهف: ٧ ومن الشيطان مكرا ودهاء واستحوذا كما قال تعالى ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾^(٣٨) المجادلة: ١٩

وكذلك الإملاء ، ((واشتقاقه مِنَ الْمَلُوءِ وَهِيَ الْمُدَّةُ مِنَ الزَّمَانِ، يُقَالُ: مَلَأْتُ مِنَ الدَّهْرِ مَلُوءَةً وَمَلُوءَةً وَمِلَؤَةً وَمِلَؤَةً بِمَعْنَى وَاحِدٍ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ: أَمْلَى عَلَيْهِ الزَّمَانُ أَيُّ طَالَ، وَأَمْلَى لَهُ أَيُّ طَوَّلَ لَهُ وَأَمْهَلَهُ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَمِنْهُ الْمَلَا لِلْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ الطَّوِيلَةِ وَالْمَلَوَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ))^(٣٨).

((والإملاء الإمهال والتأخير والإطالة في العمر والإنسان في الأجل، ومنه قوله تعالى: وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ؛ أي حيناً طويلاً ويقال: عشت طويلاً، أي تمليت حيناً))^(٣٩) ، وقوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾^(٤٠) آل عمران: ١٧٨ ، بمعنى ((تخليتهم وشأنهم ، مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو إمهالهم وإطالة عمرهم ، والمعنى ولا تحسبن أن الاملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم))^(٤١) ، ويستفاد من هذا أن الإملاء تطويل وتأخير للعقوبة ((وإن تركوا مدة من الزمان في خُفْضٍ وأمن كالبهيمة يملى لها في المرعى))^(٤٢) ، لذا قال الحق سبحانه ﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّتَ كَيِّدٌ مَّتِينٌ ﴾^(٤٣) الأعراف: ١٨٣ ؛ أي: إرخاء الزمن ، وامتداده ، وعدم تعجيل العذاب.

والفرق بين الإملاء والاستدراج هو أن الإملاء: هو الإمهال والتأخير ، والاستدراج: يعني أنه كلما جدد العبد خطيئة جدد الله له نعمة، وأنساه الاستغفار إلى أن يأخذه قليلاً قليلاً ، ولا يباعته^(٤٤) ، ((وعلى هذا هما عموم وخصوص، إذ كل استدراج إملاء وليس كل إملاء استدراج))^(٤٥).

ومنه الإمهال : والإمهال إنما هو إملاء واستدراج ليكتسبوا الآثام^(٤٤) ، ((والإمهال والتمهيل الانتظار، يقال: أَمَهَلْتُكَ كَذَا، أي: انتظرتُكَ لِتَفْعَلَ ، وَالْمَهْلُ: الرِّفْقُ وَالنُّوْدَةُ))^(٤٥) ، وبين الإمهال والتمهيل فرق دقيق وهو أن ((التَّمْهِيلُ: الْإِمْهَالُ الشَّدِيدُ، وَالْإِمْهَالُ: التَّأْخِيلُ وَتَأْخِيرُ الْعُقُوبَةِ))^(٤٦) وورد الاثنان في القرآن الكريم في سياق واحد من قوله تعالى ﴿ فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْمُكُمُ رُؤُوسًا ﴾^(٤٧) الطارق: ١٧ ، ليجمع بين الشدة

وتأجيل العقوبة ؛ وإنما تأتي ذلك من البنية ، فبنية فعل تدل على التكرير والمبالغة ، في حين بنية أفعّل تدل على المرة الواحدة .

أما ((الفرق بين الإنظار والإمهال أن الإنظار مقرون بما يقع فيه النظر والإمهال مُبهم))^(٤٧) و ((يكون من الله - سبحانه وتعالى... بأن يدع الظالم في ظلمه حيناً، ويوسع له الحبل ، ويطيّل به المهل، فيتوهم أنه انفلت من قبضة التقدير، وذلك ظنه الذي أراده ، ثم يأخذه من حيث لا يرتقب ، فيعلوه ندم ، ولات حينه))^(٤٨) .

ومنه الإنظار كما في الفرق السابق ((وَالْإِنظَارُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: التَّأخِيرُ، يُقَالُ مِنْهُ: أَنْظَرْتُهُ بِحَقِّي عَلَيْهِ، أَنْظَرُهُ بِهِ إِنْظَارًا))^(٤٩) ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ البقرة: ٢٨٠ ، لكن كيف يقع الاستدراج به ، فذلك كما وقع لإبليس لعنه الله تعالى في قوله سبحانه ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾^(٥٠) ، فإِنْكَ { أي بسبب ما تقدم من الحكم {من المنظرين { وقطع عليه ما دبّج به من المكر {^(٥١) ، فإعطاه ما يريد استدراج وإيقاع به .

قال البقاعي: ((والإنظار: تأخير المحتاج للنظر في أمره {إلى يوم يبعثون { فحمل يوم الدين على حقيقته ، وأراد التصريح بالإنظار إليه ليأمن الموت، فكأنه قيل: ماذا قيل له؟ فقيل: {قال} له ربه: {إِنْكَ} أي بسبب ما تقدم من الحكم {من المنظرين { وقطع عليه ما دبّج به من المكر {^(٥٢) ، فإعطاه ما يريد استدراج وإيقاع به .

ومنه المخادعة يقال ((خَدَعَهُ، كَمَنَعَهُ، خَدْعًا، وَيُكْسَرُ: خَتَلَهُ ، وأراد به المكروه من حيث لا يعلم))^(٥٣) ، والخدع ((أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه، وعما هو بصده من قولهم: خدع الضب ؛ إذ توارى في جحره ، وضب خادع وخدع ، إذا أوهم الحارث إقباله عليه ، ثم خرج من باب آخر ، وأصله الإخفاء ومنه المخدع للخرانة ، والأخدعان لعرقين خفيين في العنق، والمخادعة تكون بين اثنين))^(٥٤) .

((ثم المخادعة على قدر المعالجة وأكثر المفاضلة إنما تجيء في الفعل المشترك بين اثنين، كالمقاتلة والمضاربة والمشاتمة))^(٥٥) ، ومنه قوله تعالى: ﴿ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَئِنَّ آٰمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٥٦) البقرة: ٩ ، وقوله ﴿ إِنَّ الْمُتَفَقِّينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ ﴾ النساء: ١٤٢ ، ((وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنه لا تخفى عليه خافية ، ولأنهم لم يقصدوا خديعته ، بل المراد إما مخادعة رسوله على حذف المضاف ، أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث إنه خليفته كما قال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ النساء: ٨٠ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ الفتح: ١٠ ، وإما أن صورة صنيعهم مع الله تعالى من إظهار الإيمان واستبطان الكفر، وصنع الله معهم بإجراء أحكام

المسلمين عليهم، وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الأسفل من النار، استدراجاً لهم ، وامتنالُ الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أمر الله في إخفاء حالهم ، وإجراء حكم الإسلام عليهم مجازةً لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين))^{٥٤} ، ((وإن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعلم من لحن قولهم خفي أمرهم كما قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ محمد: ٣٠))^{٥٥} ، ((وقيل: إن ذكر الله سبحانه في قوله: يُخَادِعُونَ الله تحسین وتزيين لسامع الكلام))^{٥٦} ، وكأنه يراد به المشاكلة والمجازاة لخداع أولئك المنافقين ، لكن القرآن الكريم لا يخلو من معنى ، فالراجح هو استراجهم بما يبطنون من الكفر خلاف ما يُظهرون من الإسلام ، فالله تعالى ((يعاملهم معاملة المؤمنين، فيتزوجون، ويرثون، ويعاملهم كأنهم المؤمنون الصادقون في الإيمان، فهم يخادعون بإظهار ما لا يبطنون، والله تعالى يعاملهم بما يظهرون، ولا يعاملهم بما يبطنون))^{٥٧} .

وقد تكون فاعل في المخادعة للواحد ((كقولك: طارقت النعل، وعاقبت اللصّ، وعافاك الله ، قال الله عز وجل: ﴿وَقَاسِمُهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ﴾ الأعراف: ٢١ ، وقال: ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ التوبة: ٣٠ ، والمخادعة ها هنا عبارة عن الفعل الذي يختص بالواحد في حين الله تعالى لا يكون منه الخداع ((^{٥٨} .

((ويحتمل أن يراد بـ (يُخَادِعُونَ) يخدعون ... إلا أنه أخرج في زنة فاعل للمغالبة، فإن الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غلب فيه، كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحب ذلك، ويعضده قراءة من قرأ (يَخْدَعُونَ)^{٥٩} ، وكان غرضهم في ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة ، وأن يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الإكرام والإعطاء، وأن يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم ويذيعوها إلى منابذهم إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد))^{٦٠} .

المبحث الثاني: أغراضه البلاغية

المطلب الأول: علم البيان

علم البيان : لغة الكشف والظهور واصطلاحاً هو أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى بطرق متعددة وتراكيب متفاوتة^{٦١} : من الحقيقة والمجاز والتشبيه والكناية فهي مختلفة من حيث وضوح الدلالة على المعنى الواحد ويدخل أسلوب الاستدراج عنصراً أساسياً في علم البيان في صور من هذا العلم فمن ذلك:

١ - الاستدراج بطريق الاستعارة

الاستعارة فن من فنون البلاغة وهو استعمال الكلمة المفردة في غير ما وضعت له في أصل اللغة لعلاقة المشابهة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، وقد جاء هذا الفن متضمنا معنى الاستدراج عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَاثِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨٢) الأعراف: ١٨٢ ((فَالْبَيِّنُ وَالتَّائِي فِي فِعْلِ الاسْتِدْرَاجِ لِلطَّلَبِ، أَيِ طَلَبِ مِنْهُ أَنْ يَتَدَرَّجَ، أَيِ صَاعِدًا أَوْ نَازِلًا، وَالْكَلَامُ تَمْثِيلٌ لِحَالِ الْقَاصِدِ إِذْ دَالَ حَالِ أَحَدٍ إِلَى غَيْرِهَا بِدُونِ إِشْعَارِهِ ، بِحَالٍ مَنْ يَطْلُبُ مَنْ غَيْرِهِ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ دَرَجَةٍ إِلَى أُخْرَى بِحَيْثُ يَنْتَهِي إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ بِدُونِ ذَلِكَ، وَهُوَ تَمْثِيلٌ بِدَيْعٍ يَشْتَمِلُ عَلَى تَشْبِيهَاتٍ كَثِيرَةٍ ، فَإِنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى تَشْبِيهِ حُسْنِ الْحَالِ بِرَفْعَةِ الْمَكَانِ وَضِدِّهِ بِسَفَالَةِ الْمَكَانِ، وَالْقَرِينَةُ تُعِينُ الْمَقْصُودَ مِنْ انْتِقَالٍ إِلَى حَالٍ أَحْسَنَ أَوْ أَسْوَأَ.

وَمِمَّا يُشِيرُ إِلَى مُرَاعَاةِ هَذَا التَّمْثِيلِ فِي الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا تَضَمَّنَ الاسْتِدْرَاجُ مَعْنَى الْإِيصَالِ إِلَى الْمَقْصُودِ عُلِقَ بِفِعْلِهِ مَجْرُورٌ بِمِنْ الْإِبْتِدَائِيَّةِ أَيِ مُبْتَدَأًا اسْتِدْرَاجُهُمْ مِنْ مَكَانٍ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُقْضٍ بِهِمْ إِلَى الْمَبْلَغِ الضَّارِّ، فَحَيْثُ هُنَا لِلْمَكَانِ عَلَى أَصْلِهَا، أَيِ مَنْ مَكَانٍ لَا يَعْلَمُونَ مَا يُفْضِي إِلَيْهِ، وَخُذِفَ مَفْعُولُ يَعْلَمُونَ لِدَلَالَةِ الاسْتِدْرَاجِ عَلَيْهِ، وَالتَّقْدِيرُ: لَا يَعْلَمُونَ تَدَرُّجَهُ، وَهَذَا مُؤْذِنٌ بِأَنَّهُ اسْتِدْرَاجٌ عَظِيمٌ لَا يُطْنُ بِالْمَفْعُولِ بِهِ أَنْ يَتَقَطَّنَ لَهُ))^{٦٢} ، ففي الاستدراج استعارة تبعية تصريحية شبه فيها من يراد أن يؤخذ بغتة بمن يطلب منه استصعاد سلم درجة درجة حتى يوقعه فيما أعد له من العذاب ، قال الطبري : ((يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِأَدْلَتِنَا وَأَعْلَامِنَا، فَجَحَدُوهَا وَلَمْ يَتَذَكَّرُوا بِهَا، سَنُمَهِّلُهُ بِعِزَّتِهِ وَنُزِنُّ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ، حَتَّى يَحْسِبَ أَنَّهُ هُوَ فِيمَا عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِهِ بآيَاتِ اللَّهِ إِلَى نَفْسِهِ مُحْسِنٌ، وَحَتَّى يَبْلُغَ الْعَايَةَ الَّتِي كُتِبَ لَهُ مِنَ الْمَهْلِ، ثُمَّ يَأْخُذَهُ بِأَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ، فَيَجَازِيَهُ بِهَا مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ، وَذَلِكَ اسْتِدْرَاجُ اللَّهِ إِيَّاهُ ، وَأَصْلُ الاسْتِدْرَاجِ اغْتِرَارُ الْمُسْتَدْرَجِ بِلُطْفٍ مِنْ حَيْثُ يَرَى الْمُسْتَدْرَجُ أَنَّ الْمُسْتَدْرَجَ إِلَيْهِ مُحْسِنٌ حَتَّى يُورِطَهُ مَكْرُوهًا))^{٦٣} .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ النساء: ١٤٢ ((فَاطْلَاقُ الْخِدَاعِ عَلَى اسْتِدْرَاجِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ اسْتِعَارَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ ، وَحَسَنَتْهَا الْمُشَاكَلَةُ لِأَنَّ الْمُشَاكَلَةَ لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ اسْتِعَارَةً لَفْظٍ لِغَيْرِ مَعْنَاهُ مَعَ مَزِيدٍ مُنَاسِبَةٍ مَعَ لَفْظٍ آخَرَ مِثْلَ اللَّفْظِ الْمُسْتَعَارِ . فَالْمُشَاكَلَةُ تَرْجِعُ إِلَى التَّلْمِيحِ، أَيِ إِذَا لَمْ تَكُنْ لِإِطْلَاقِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ عِلَاقَةً بَيْنَ مَعْنَى اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى الْمُرَادِ إِلَّا مُحَاكَاةَ اللَّفْظِ، سُمِّيَتْ مُشَاكَلَةً كَقَوْلِ أَبِي الرَّقْعَمَقِ.

قَالُوا: اقْتَرَحَ شَيْئًا نُجِذُ لَكَ طَبْخَهُ ... قُلْتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا))^{٦٤}

ومن أمثلة هذا الضرب قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ لَهُمْ إِنَّ كَيْدَ مَتِينٌ﴾ الأعراف: ١٨٣

((يُقَالُ: أَمْلَى لِفَرَسِهِ إِذَا أَرْخَى لَهُ الطَّوْلَ فِي الْمَرْعَى، وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنَ الْمَلَوِ بِالْوَاوِ وَهُوَ سَيْرُ الْبَعِيرِ الشَّدِيدِ، ثُمَّ قَالُوا: أَمْلَيْتُ لِلْبَعِيرِ وَالْفَرَسِ إِذَا وَسَّعْتُ لَهُ فِي الْقَيْدِ لِأَنَّهُ يَتِمَكَّنُ بِذَلِكَ مِنَ الْخَبَبِ وَالرَّكْضِ، فَشَبَّهِ فِعْلُهُ بِشِدَّةِ السَّيْرِ))^{٦٥} ، ثم أجري مجرى الاستعارة التبعية التصريحية ، فقالوا: ((أَمْلَيْتُ لِرَيْدٍ فِي غَيْهِ أَيْ تَرَكْتُهُ: عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِعَارَةِ ، وَأَمْلَى اللَّهُ لِفُلَانٍ آخَرَ عِقَابَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأُمْلِ لَهُمْ إِنِّي كَيْدِي مَتِينٌ ﴾^(١٨٣) وَاسْتُعِيرَ التَّمْلِي لَطُولِ الْمُدَّةِ تَشْبِيْهَا لِلْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ فَقَالُوا: مَلَأَ اللَّهُ حَبِيْبَكَ تَمْلِيَةً، أَيْ أَطَالَ عُمْرَكَ مَعَهُ))^{٦٦} .

أما إطلاق الكيد في هذه الآية بعد الإملاء على الرغم من أنه من مقارباته ؛ فلأنه كالتعليل والنتيجة له ومثله تماما قوله تعالى ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْخَبَرِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤٤) وَأُمْلِ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ^(٤٥) القلم: ٤٤ - ٤٥ فتحصل في هذه الآية وقوع الاستدراج والإملاء والكيد كلها مجتمعة لتعطي من دقائق المعاني المتقدمة ما يُحَيِّرُ الناظر في البيان القرآني ، قال الطاهر: ((فَإِنَّ جُمْلَةً: إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ لَا تُفِيدُ إِلَّا تَغْلِيلَ الْإِسْتِدْرَاجِ وَالْإِمْلَاءِ بِأَنَّهُمَا مِنْ فِعْلٍ مَنْ يَأْخُذُ عَلَى خَفَاءٍ دُونَ تَلْوِينٍ أَخَذَهُ بِمَا يَغُرُّ الْمَأْخُودَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ كَائِدِينَ لَهُمْ، إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ))^{٦٧}

وفي إطلاق الكيد في جملة مستأنفة يفيد أيضا علاوة على تعليل الاستدراج والإملاء أنه جاء هنا ((عَلَى طَرِيقَةِ [الاستعارة] التَّمَثِيلِيَّةِ بِتَشْبِيْهِ الْحَالِ الَّتِي يَسْتَدْرِجُ اللَّهُ بِهَا الْمُكْذِبِينَ مَعَ تَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ إِلَى أَمَدٍ هُمْ بِالْغَوْهِ، بِحَالٍ مِنْ يَهْيِيءُ أَخْذًا لِعَذْوِهِ مَعَ إِظْهَارِ الْمُصَانَعَةِ وَالْمَحَاسَنَةِ لِيَزِيدَ عَدُوَّهُ غُرُورًا، وَلِيَكُونَ وَقُوعُ ضَرِّ الْأَخْذِ بِهِ أَشَدَّ وَأَبْعَدَ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ لَتَلْقِيهِ))^{٦٨} .

٢- الاستدراج بطريق الكناية والتعريض

الكناية كما عرفها اهل البيان بأنها لفظ اريد به لازم معناه وهي كما بينها الطيبي ترك التصريح بالشيء الى ما يساويه في اللزوم فينتقل منه الى الملزوم^(٦٩) ، والتعريض : هو أن يطلق الكلام ويراد معنى آخر يفهم من السياق تعريضاً بالمخاطب ، أو التعريض هو الإشارة الى الشيء اشارة خفية وهو يكون بضرب الامثال وذكر الالغاز وهو خطاب غير مباشر او احياء في وصف الحالة التعريض في الكلام ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح^(٧٠)

قال تعالى حكاية عن حال إبراهيم: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾^(٧٦) الأنعام: ٧٦ ((وَاسْمُ الْإِشَارَةِ هُنَا لِقَصْدِ تَمْيِيزِ الْكَوْكَبِ مِنْ بَيْنِ الْكَوَاكِبِ وَلَكِنْ إِجْرَاؤُهُ عَلَى تَطْيِيرِهِ فِي قَوْلِهِ حِينَ رَأَى الْقَمَرَ^{٧١} وَحِينَ رَأَى الشَّمْسَ^{٧٢} هَذَا رَبِّي - هَذَا رَبِّي يُعَيِّنُ أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ الْأَصْلِيُّ مِنْهُ هُوَ الْكِنَايَةُ بِالْإِشَارَةِ عَنْ كَوْنِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ أَمْرًا مَطْلُوبًا مَبْجُوثًا عَنْهُ فَإِذَا غُيِّرَ عَلَيْهِ أُشِيرَ إِلَيْهِ ... وَهَذَا مِنَ الْأَعْرَاضِ الدَّاعِيَةِ لِلتَّعْرِيفِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الَّتِي أَهْمَلَهَا عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ فَيَصِحُّ هُنَا أَنْ يُجْعَلَ

مُسْتَعْمَلًا فِي مَعْنِيَّتِهِ الصَّرِيحِ وَالْكِنَايَةِ.))^{٧٣} ، واستعمل هنا أسلوب الكناية على سبيل الاستدراج بنسبة عبادة الكوكب لنفسه ، قال الطاهر : ((وَتَعْرِيفُ الْجُزْأَيْنِ مُفِيدٌ لِلْقَصْرِ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: هَذَا رَبِّ. قَدْ عَلِيَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ اسْتِدْرَاجَ قَوْمِهِ فَأَبْتَدَأَ بِإِظْهَارِ أَنَّهُ لَا يَرَى تَعُدُّدَ الْأَلِهَةِ لِيَصِلَ بِهِمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَاسْتَبْقَى وَاحِدًا مِنْ مَعْبُودَاتِهِمْ فَقَرَضَ اسْتِحْقَاقَهُ الْإِلَهِيَّةَ كَيْلًا يَنْفَرُوا مِنَ الْإِضْغَاءِ إِلَى اسْتِدْلَالِهِ ... قَالَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْمُجَادَلَةِ لِقَوْمِهِ وَإِرْخَاءِ الْعِنَانِ لَهُمْ لِيَصِلُوا إِلَى تَلْقِي الْحُجَّةِ وَلَا يَنْفَرُوا مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ فَيَكُونُ قَدْ جَمَعَ جَمْعًا مِنْ قَوْمِهِ وَأَرَادَ الْاسْتِدْلَالَ عَلَيْهِمْ.

وَقَوْلُهُ: هَذَا رَبِّي أَيُّ خَالِقِي وَمُدَبِّرِي فَهُوَ مُسْتَحَقُّ عِبَادَتِي، قَالَهُ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ جَزِيًّا عَلَى مُعْتَقِدِ قَوْمِهِ لِيَصِلَ بِهِمْ إِلَى نَقْضِ اعْتِقَادِهِمْ فَأَظْهَرَ أَنَّهُ مُوَافِقٌ لَهُمْ لِيَهْتُسُوا إِلَى ذَلِكَ ثُمَّ يَكْرِ عَلَيْهِمْ بِالْإِبْطَالِ إِظْهَارًا لِلْإِنْصَافِ وَطَلَبِ الْحَقِّ.))^{٧٤} .

ومن بدائع التعبير أنه خلص من الكناية إلى التعريض بعدما استدراج الخصم وأوقعه في أحوال شركه ليقول له هذا معبودك لا يساوي شيئاً لأنه آيل إلى الزوال ، وذلك بقوله ﴿ فَلَمَّا أَفَلَّ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآلِفِلِينَ ﴾^(٧٥) الأنعام: ٧٦ ، ولم يكتفِ بذلك فقد عرّض في القمر بضلالهم ؛ وذلك في قوله ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَّ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾^(٧٦) الأنعام: ٧٧)) ويلاحظ أنه عرّض بضلالهم في أمر القمر ؛ لأنه أيسر منهم في أمر الكوكب، ولهذا أعلن في أمر الشمس البراءة منها عن طريق استدراج الخصم وإيقاعه تحت الحجة))^{٧٥} ، فتدرج معهم من أصغر المحسوسات من الكواكب ، ثم صعوداً إلى القمر تعريضاً بهم ؛ ولهذا لما وصل للشمس صرح فتبرأ من كفرهم لأنه بلغ معهم غاية الاستدراج وإبلاغهم الحجة ، فقال: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ يَنْقُورُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾^(٧٧) الأنعام: ٧٨ فترقى ((في النوبة الثالثة إلى التصريح بالبراءة منهم والتصريح بأنهم على شرك حين تم قيام الحجة عليهم وتبلج الحق وبلغ من الظهور غايته))^{٧٦} .

ومن التعريض توجيه السؤال إلى المؤودة في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴾^(٧٨) بَأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ^(٧٩) التكويد: ٨ - ٩ ((في قوله تعالى سُئِلَتْ بَأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ دون الوائد مع أن الذنب له دونها ؛ لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها ؛ وإسقاطه عن درجة الخطاب ؛ والمبالغة في تبكيته ، فإن المجني عليه إذا سئل بمحضر الجاني ، ونسبت إليه الجناية دون الجاني كان ذلك بعثاً للجاني على التفكير في حال نفسه وحال المجني عليه، فيرى براءة ساحته وأنه هو المستحق للعتاب والعقاب، وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض كما في قوله تعالى ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ إِلَهَيْنِ ﴾

المائدة: ١١٦))^{٧٧} ، فاستدراجه وقع بطريق التعريض ليصل معه إلى سؤاله سؤالاً تبكيتياً ؛ ليكون أشد وقعاً وتوبيخاً ، قال الزمخشري: ((فإن قلت : فما معنى سؤال المؤودة عن ذنبها الذي قتلت به ؛ وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها ؟ قلت : سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى : ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾ إلى قوله : ﴿سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ المائدة: ١١٦))^{٧٨}

المطلب الثاني: علم المعاني

قال عنه السكاكي ((اعلم أن المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره))^{٧٩} ، ووقع الاستدراج ببعض الأساليب الإنشائية الطلبية

١ - الاستدراج بطريق الأمر وخروجه الى الخبر

قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١٢) العنكبوت: ١٢ فقوله (({اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ} وَإِنْ كَانَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْأَمْرِ، فَإِنَّ فِيهِ تَأْوِيلَ الْجَزَاءِ، وَمَعْنَاهُ مَا قُلْتُ: إِنْ اتَّبَعْتُمْ سَبِيلَنَا حَمَلْنَا خَطَايَاكُمْ))^{٨٠} ، ((قَالَ الْكُوشِيُّ: وَالْأَمْرُ بِمَعْنَى الْخَبَرِ أُبْلَغَ مِنَ الْخَبَرِ لِتَضَمُّنِهِ اللَّزُومَ نَحْوُ إِنْ زُرْتَنَا فَلْنُكْرِمَكَ يُرِيدُونَ تَأْكِيدَ إِجَابِ الْإِكْرَامِ عَلَيْهِمْ كَذَا قَالَ الشَّيْخُ عَزَّ الدِّينَ مَقْصُودُهُ تَأْكِيدُ الْخَبَرِ لِأَنَّ الْأَمْرَ لِلْإِجَابِ يُشَبِّهُ الْخَبَرَ فِي إِجَابِهِ))^{٨١}

أما سبب الاستدراج فهو ما بينه وتنبه له عبد الرحمن حبنكة الميداني عند وقوفه على الآية ((وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ: هَذِهِ صِيغَةُ أَمْرٍ، يُرَادُ بِهَا الْإِخْبَارُ عَلَى سَبِيلِ الْوَعْدِ بِأَنَّهُمْ سَيَحْمِلُونَ عَنْهُمْ خَطَايَاهُمْ إِذَا اتَّبَعُوهُمْ، وَهُمْ كَاذِبُونَ بِهَذَا الْوَعْدِ، وَغَرَضُهُمْ مِنْهُ الْإِسْتِدْرَاجُ إِلَى الْكُفْرِ. وصيغة الأمر في هذا المقام أبلغ من صيغة الخبر، لأنَّ فيها معنى إلزام أنفسهم بتحقيق الأمر الذي وَعَدُوهُمْ بِهِ.))^{٨٢}

٢ - الاستدراج بأسلوب الاستفهام الإنكاري

قوله تعالى ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١٣) البقرة: ١٣٣ الاستفهام في الآية إنكاري جاء لإبطال دعوى اليهود والنصارى في أن إبراهيم وبنيه كانوا هوداً أو نصارى ، وفيه وقع استدراجهم لإبطال دعواهم ، قال الطاهر: ((وَهَذَا تَنْوِيهٌ بِالْحَنِيفِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَسَاسُ الْإِسْلَامِ، وَتَمْهِيدٌ لِإِبْطَالِ قَوْلِهِمْ: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ البقرة: ١٣٥ وَإِبْطَالُ لِرَعْمِهِمْ أَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ عَلَى

الْيَهُودِيَّةَ وَأَنَّهُ أَوْصَىٰ بِهَا بَنِيهِ فَلَزِمَتْ ذُرِّيَّتَهُ فَلَا يُحَوَّلُونَ عَنْهَا. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا ذَلِكَ قَالَهُ الْوَاحِدِيُّ وَالْبَغَوِيُّ بِدُونِ سَنَدٍ، وَيَذُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ البقرة: ١٤٠ الآية فَلَذَلِكَ جِيءَ هُنَا بِتَفْصِيلِ وَصِيَّةِ يَعْقُوبَ إِبْطَالًا لِدَعَاوِي الْيَهُودِ وَتَقْضًا لِمُعْتَقَدِهِمُ الَّذِي لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ كَمَا أَنَّ بَهَ الْإِنْكَارِ فِي قَوْلِهِ: أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ((^{٨٣})) ، ((فَلَا اسْتِفْهَامَ هُنَا غَيْرَ حَقِيقِي لِظُهُورِ أَنَّ عَدَمَ شُهُودِهِمْ اخْتِصَارَ يَعْقُوبَ مُحَقِّقٌ، فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْاسْتِفْهَامَ مَجَازٌ، وَمَحْمَلُهُ عَلَى الْإِنْكَارِ لِأَنَّهُ أَشْهَرُ مَحَامِلِ الْاسْتِفْهَامِ الْمَجَازِيِّ، وَلِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ مَأْلُوفٌ فِي الْاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ))^{٨٤}.

((وَوَجْهٌ دَلَالَةٌ نَفْيِ الْمَشَاهِدَةِ عَلَى نَفْيِ مَا نَسَبُوهُ إِلَى يَعْقُوبَ هُوَ أَنَّ تَنْبِيهِهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا ذَلِكَ يُبَيِّنُ فِي نَفْسِهِمُ الشَّكَّ فِي مُعْتَقَدِهِمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ هُوَ مِنْ بَقِيَّةِ الْقِصَّةِ الْمَنْفِيَّةِ شُهُودُ الْمُخَاطَبِينَ مَحْضَرَهَا فَهَذَا مِنْ مَجِيءِ الْقَوْلِ فِي الْمَحَاوِرَاتِ ... فَيَكُونُ الْكَلَامُ نَفْيًا لَشُهُودِهِمْ مَعَ إِفَادَةِ تِلْكَ الْوَصِيَّةِ، أَيْ وَلَوْ شَاهَدْتُمْ مَا اعْتَقَدْتُمْ خِلَافَهَا ، فَلَمَّا اعْتَقَدُوا اعْتِقَادًا كَالضَّرُورِيِّ وَبَخْهُمُ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى النَّظَرِ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي اسْتَتَدُوا إِلَيْهَا فَيَعْلَمُوا أَنَّهَا طَرِيقٌ غَيْرُ مُوَصَّلَةٍ، وَبِهَذَا تَعْلَمُونَ وَجْهَةَ الْإِقْتِصَارِ عَلَى نَفْيِ الْحُضُورِ مَعَ أَنَّ نَفْيَ الْحُضُورِ لَا يَذُلُّ عَلَى كَذِبِ الْمُدَّعِي لِأَنَّ عَدَمَ الْوُجُودِ لَا يَذُلُّ عَلَى عَدَمِ الْوُجُودِ، فَالْمَقْصُودُ هُنَا الْاسْتِدْرَاجُ فِي إِبْطَالِ الدَّعْوَى بِإِدْخَالِ الشَّكِّ عَلَى مُدَّعِيهَا))^{٨٥} ففحوى إنكار شهودهم موت يعقوب عليه السلام استدراجهم في إيقاعهم بالشك في معتقدتهم بأن إبراهيم وبنيه كانوا هودا أو نصارى.

المطلب الثالث: علم البديع

علم البديع هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة^{٨٦} وهو العلم المقصور على أمة العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، ومما ظهر فيه من محسنات متضمنة لفن الاستدراج :

١ - الاستطراد في الكلام لاستجلاب الخصم

الاستطراد ذكر الشيء في غير موضعه وقولهم وقع ذلك على وجه الاستطراد مأخوذ من الاجتذاب لأنك لم تذكره في موضعه بل مهدت له موضعا ذكرته فيه او هو سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر وهو غير مقصود بالذات بل بالعرض^(٨٧) وجاء هذا المصطلح في شرح نهج البلاغة بعنوان: (((استطراد بلاغي في الكلام على الاستدراج) واعلم أن في علم البيان بابا يسمى باب الخداع والاستدراج يناسب ما يذكره فيه علماء البيان قول أمير المؤمنين عليه السلام : يقول لك ابن خالك

عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق ! قالوا : ومن ذلك قول الله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٢٨) غافر : ٢٨ ، فإنه أخذ معهم في الاحتجاج بطريق التقسيم ، فقال : هذا الرجل إما أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعده ، وإما أن يكون صادقا فيصيبكم بعض ما يعدكم به ، ولم يقل : " كل ما يعدكم به " مخادعة لهم وتلطفا واستمالة لقلوبهم كي لا ينفروا منه لو أغلظ في القول وأظهر لهم إنه يهضمه بعض حقه .

وكذلك تقديم قسم الكذب على قسم الصدق ، كأنه رشاهم ذلك ... ليطمئنوا إلى نصحه^{٨٨} ، فوقع الاستدراج بأكثر من فن : الأول هو الاستطراد بطريق المحاجة عن أمر اعتقاده ثم التقسيم بإيهامهم بالشك بين صدقه وكذبه ، ثم أسلوب التقديم الذكري وهو تقديم كذبه على صدقه استدراجا لاستماع كلامه.

٢ - أسلوب الملاطفة لاستدراج الخصم

معنى الاستلطاف هو السؤال بحسن وحنان ويقال تلاطف القوم أي ترفقوا فيه وهو الترفق بالأمر ومعالجته بأدب وهذا هو بيان الاستدراج وهو الغرض الذي خرج إليه الاستدراج ، بين ابن الأثير الأمثلة التي تناولها في كتاب الله تعالى في تبيان هذا الفن البلاغي فمن ذلك قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون وكيف استلطف قومه لاستدراجهم الى طريق الحق والعدل وترفق بهم أيما تلطف في قوله تعالى - وقد سبق في الاستطراد - : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٢٨) ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطفه فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعده أو يكون صادقا [وإن يكن صادقا] يصيبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له وفي هذا الكلام من حسن الأدب والإنصاف ؛ لأنه احتجاج في مقابلة خصوم موسى عليه السلام أن يسلك معهم طريق الإنصاف والملاطفة في القول ويأتيهم من جهة المناصحة ليكون أدعى إلى سكونهم إليه فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم إياه فقال (وإن يك صادقا يصيبكم بعض الذي يعدكم) وهو كلام المنصف في مقابلة غير المشتط وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد به لكنه أردف بقوله (يصيبكم بعض الذي يعدكم) ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيأ فضلا عن أن يتعصب له ، وكذلك قوله في آخر الآية (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) أي هو على الهدى ، ولو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولا عضده بالبينات وفي هذا الكلام من خداع الخصم واستدراجه ما لا خفاء به وقد تضمن من اللطائف الدقيقة ما إذا تأملته حق التأمل أعطيته حقه من الوصف فهذا

الرجل المؤمن قد كتم إيمانه ، لكنه لم يكتف نصيحته وبيانه للحق ، إذ كان قادرا عليه فكتم إيمانه وهجرته ، ولم يكتف نصرته فاستدرج القوم بالطف اسلوب واجمل نصح وبيان ^{٨٩} .

ومما جرى مجرى هذا الأسلوب ما قاله ابن الأثير في ((قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَتَّبِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) ﴾ مريم: ٤١ - ٤٥ هذا كلام يهزّ أعطاف السامعين، وفيه من الفوائد ما أذكره، وهو لما أراد إبراهيم عليه السلام أن ينصح أباه ويعظه وينقذه مما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل؛ رتب الكلام معه في أحسن نظام، مع استعمال المجاملة واللفظ والأدب الحميد والخلق الحسن، مستصحاً في ذلك بنصيحة ربه، وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطيئته طلب منه على تماديه موقظ من غفلته؛ لأن المعبود لو كان حياً مميّزاً سمياً بصيراً مقتدرًا على الثواب والعقاب إلا أنه بعض الخلق يستخفّ عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية، ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبیین، فكيف بمن جعل المعبود جماداً لا يسمع ولا يبصر، يعني به الصنم، ثم تثنى ذلك بدعوته إلى الحق مترقفاً به، فلم يسم أباه الجهل المطلق ، ولا نفسه بالعلم الفائق ، ولكنه قال: إنّ معي لطائفة من العلم وشيئاً منه، وذلك علم الدلالة على سلوك الطريق، فلا تستكف؛ وهب أني وإياك في مسير، وعندى معرفة بهداية الطريق دونك، فاتّبعني أنجك من أن تضل، ثم تلت ذلك بتثبيطه عما كان عليه ونهيه، فقال: إنّ الشيطان الذي استعصى على ربك وهو عدوك وعدو أبوك آدم هو الذي ورطك في هذه الورطة، وألّفاك في هذه الضلالة، وإنما ألغى إبراهيم عليه السلام ذكر معاداة الشيطان آدم وذريته في نصيحة أبيه لأنه لإمعانه في الإخلاص لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختص بالله، وهي عصيانه واستكباره، ولم يلتفت إلى ذكر معاداته آدم وذريته، ثم ربّع ذلك بتخويفه إياه سوء العاقبة، فلم يصرح بأن العقاب لاحق به، ولكنه قال: (إني أخاف أن يمسك عذاب)، فنكّر العذاب ملاطفة لأبيه، وصدّر كل نصيحة من هذه النصائح بقوله: (يا أبت)توسلاً إليه واستعطافاً، وهذا بخلاف ما أجابه به أبوه، فإنه قال: (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) فأقبل عليه بفضافة الكفر، وغلظ العناد، فناداه باسمه، ولم يقابل قوله يا أبت بقوله يا بنيّ وقدم الخبر على المبتدأ في قوله: (أراغب أنت) ؛ لأنه كان أهمّ عنده، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن آلهته.

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة من هذا الجنس، لا سيما في مخاطبات الأنبياء صلوات الله عليهم للكفار، والرد عليهم، وفي هذين المثالين المذكورين ههنا كفاية ومقنع ^{٩٠} .

٣- أسلوب المغالطة وإنصاف الخصم

المغالطة في علم المنطق مركبة من مقدمات شبيهة بالحق ، ولا يكون حقا ويسمى سفسطة أو شبيهة بالمقدمات المشهورة وتسمى مشاغبة ، وهي أيضا قول مؤلف من قضايا شبيهة بالقطعية أو بالظنية أو بالمشهورة^(٩١) ، قالوا: والمورد لها إن قَابَلَ بها الحكيم فهو سوفسطائي، وإن قابل بها الجدلي، فهو مُشَاغِبِي^{٩٢} ، ويشبه الشاعر والكاتب بأصحاب ((الجدل في الكلام والمنطق والفلسفة ولكن أولئك يتصرفون في المغالطات القياسية أما الشاعر أو الكاتب فهو في استدراجه يتصرف في المغالطات الخطابية))^{٩٣} ، وهو ينطوي على أسلوب آخر تحته ، وهو إنصاف الخصم ، ((قَالَ السَّكَائِيُّ: وَيُسَمَّى هَذَا النَّوعُ الْخِطَابُ الْمُنْصِفُ أَيْ لِأَنَّهُ يُوجِبُ أَنْ يُنْصِفَ الْمُخَاطَبَ إِذَا رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ اسْتِدْرَاجًا اسْتِدْرَاجَهُ الْخُصْمَ إِلَى الْإِذْعَانِ وَالتَّسْلِيمِ وَهُوَ شَبِيهٌ بِالْجَدْلِ لِأَنَّهُ تَصَرَّفَ فِي الْمَغَالِطَاتِ الْخِطَابِيَّةِ))^{٩٤} ، ((وَالْإِنْصَافُ فِي الْمُعَامَلَةِ: الْعَدَالَةُ، وَذَلِكَ أَنْ لَا يَأْخُذَ مِنْ صَاحِبِهِ مِنَ الْمَنَافِعِ إِلَّا مِثْلَ مَا يُعْطِيهِ، وَلَا يُنِيلُهُ مِنَ الْمَضَارِّ إِلَّا مِثْلَ مَا يَنَالُهُ مِنْهُ، وَاسْتَعْمِلَ النِّصْفَةَ فِي الْخِدْمَةِ، فَقِيلَ لِلْخَادِمِ: نَاصِفٌ، وَجُمِعَ: نُصِفَ، وَهُوَ أَنْ يُعْطِيَ صَاحِبَهُ مَا عَلَيْهِ بِإِزَاءِ مَا يَأْخُذُ مِنَ النِّفْعِ ، وَالْإِنْصَافُ وَالْإِسْتِنْصَافُ: طَلَبُ النِّصْفَةِ))^(٩٥).

وهذا الأسلوب البياني نجده في قصة نبي الله موسى عليه السلام مع السحرة فقد استعمل نبي الله موسى عليه السلام فن الاستدراج وهو بالإضافة الى ما فيه من البلاغة ينطوي على نكت دقيقة في إنصاف الخصم واضطراره الى الإذعان ، والتسليم فقد شاء السحرة في بادئ الأمر استدراج موسى ثقة منهم بأنهم فائزون عليه ، وكأنما ألهمهم الله حسن الأدب مع موسى في تخييره وإعطائه النصفة من أنفسهم عندما قالوا ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوًى ﴾ طه: ٥٨ ، ففوضوا ضرب الموعد اليه ولكن موسى استدرجهم بإلهام من الله عز وجل أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم ، ليكون الحق أبلج على رؤوس الأشهاد فيكون أفصح لكيدهم وأهتك لسترهم ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ طه: ٥٩ ، ولما استدرجوه الى التخيير في الإلقاء أيقن هو البادئ أم يكونون هم البادئين استدرجهم هو إلى أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون إلقاءه العصا بعد قذفاً بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه ، وتواضع له وخفض جناح ، وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم ، وكان الله عز وعلا ألهمهم ذلك ، وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار إلقاءهم أولاً ، مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب ، حتى يبرزوا ما معهم من مكاييد السحر ، ويستنفدوا أقصى طوقهم ، ومجهودهم ، فإذا فعلوا : أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه ، وسلط المعجزة على السحر فمحقتها ، وكانت آية نيرة للناظرين ، وعبرة بينة للمعتبرين ، فما أروع هذا الكلام ﴿ قَالُوا يَمْشُونَ بِمَا أَنْتَ تَمْشِي وَإِنَّمَا أَنْتَ تُكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ قال بل ألقوا فإذا جأهم وعصيتهم يحيل إليهم من سحرهم أنها تسعي ﴿ طه: ٦٥ - ٦٦)) فلما كان مجمع سرورهم

هو اليوم الذي اعتادوه حاوياً لهذه الأغراض زماناً ومكاناً وغيرهما ؛ لأنه يحضره البدو والحضر فيكثر المحدث بهذا الأمر ، لذلك اختاره عليه السلام ، فاستؤنف الخبر عنه ليكون أبلغ في الاستدراج وأبلغ في النصح ؛ لذلك لما بدأت المنازلة زاد في نصحهم لزيادة الاستدراج والتذكير بالعقوبة ؛ ولذلك أخبر عنهم بأنهم تنازعوا بينهم وأسروا النجوى لئلا يطلع فرعون على عوراتهم ﴿ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ (١٢) طه: ٦٢ ولهذا تأدبوا معه بقولهم إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى وهذا من فقهه بحالهم ؛ ولأنهم تأدبوا معه فكان من حالهم ما كان من الإيمان^{٩٦} ، فما أبدع هذه المغالطات الكلامية التي أذعن لها الخصم وألقى بالقياد .

٤ - اسلوب الافتراض لشحن الذهن وبعثه على التفكير

استعمل هذا الأسلوب من الافتراض لغاية شحن الذهن وبعثه على التفكير مما يحقق للمخاطب زيادة التفكير في أمره ، فجاء هذا الأسلوب تبياناً له ومرشداً وهذا ما بينه الإمام الآلوسي عند وقوفه عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة: ١٣٥) ، قال رحمه الله: ((﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ﴾ (البقرة: ١٣٧) متعلق بقوله سبحانه : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا ﴾ (البقرة: ١٣٦) إلخ أو بقوله عز شأنه : ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (البقرة: ١٣٥) إلخ وإن - لمجرد الفرض والكلام من باب الاستدراج، وإرخاء العنان مع الخصم حيث يراد تبكيته ، وهو مما تتراكم فيه خيول المناظرين - فلا بأس بحمل كلام الله تعالى عليه - يعني نحن لا نقول: إننا على الحق وأنتم على الباطل، ولكن إن حصلتم شيئاً مساوياً لما نحن عليه مما يجب الإيمان أو التدين به فقد اهتديتم ، ومقصودنا هدايتكم كيفما كانت، والخصم إذا نظر بعين الإنصاف في هذا الكلام وتفكر فيه علم أن الحق ما عليه المسلمون لا غير، إذ لا مثل لما آمنوا به، وهو ذاته تعالى وكتبه المنزلة على أنبيائه - ولا دين كدينهم^{٩٧}))

ومثله قوله سبحانه ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظِهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الرعد: ٣٣) ((قال الطيبي في هذه الآية احتجاج بليغ مبني على فنون من علم البيان:

أولها: أفمن هو قائم الخ احتجاج عليهم وتوبيخ لهم على القياس الفاسد لفقد الجهة الجامعة لها. ثانيها: وجعلوا لله شركاء وفيه وضع المظهر موضع المضمحل للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد لا يشاركه أحد في اسمه.

ثالثها: قل سموهم أي عينوا أسماءهم فقولوا فلان وفلان فهو إنكار لوجودها على وجه برهاني، كما تقول إن كان الذي تدعيه موجوداً فسمه، لأن المراد بالاسم العلم. رابعها: أم تتنبؤونه بما لا يعلم، احتجاج من باب نفي الشيء، أعني المعلوم بنفي لازمه وهو العلم وهو كناية.

خامسها: أم بظاهر من القول احتجاج من باب الاستدراج والهمزة للتقرير لبعثهم على التفكير، المعنى أتقولون بأفواهكم من غير روية وأنتم ألباء فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه.

سادسها: التدرج في كل من الإضرابات على ألطف وجه، وحيث كانت الآية مشتملة على هذه الأساليب البديعة مع اختصارها كان الاحتجاج المذكور منادياً على نفسه بالإعجاز وإنه ليس من كلام البشر^{٩٨} ، فقد تقدمهم بأسلوب الاحتجاج عليهم ، ثم حثهم على النظر بما يقولون بأفواههم ليقفوا على بطلانه .

٥ - الاستدراج بطريق المشاكلة

((ومن أساليب اللغة العربية المشاكلة بين الألفاظ، فيؤدي لفظ بغير معناه الموضوع له مشاكلة للفظ آخر مقترن به في الكلام ، كقول الشاعر:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخة ... قلت اطبخوا لي جبةً وقميصاً

أي خيطوا لي. وقال بعض العلماء: ومنه قول جرير:

هذي الأرامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر^{٩٩}

بناء على القول بأن الأرامل لا تطلق في اللغة إلا على الإناث^{١٠٠} .

((وأصل المشاكلة من الشكل وهو تقييد الدابة، والشكال ما يقيد به، ومنه استعير شكلت الكتاب كقيده، والأشكلة الحاجة التي تقيد الإنسان))^{١٠١} ، أما اصطلاحاً ((ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا ، فالأول كقوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ المائدة: ١١٦ ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا لِلَّهِ ﴾ آل عمران: ٥٤ ، فإطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى إنما هو لمشاكلة ما معه... ومثال التقديري: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ البقرة: ١٣٨ ، فقوله: صبغة الله أي تطهير الله، لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون: إنه تطهير لهم، فعبر عن الإيمان بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة))^{١٠٢} .

وعودا على الاستدراج بطريق المشاكلة ففي ((نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا لِلَّهِ ﴾ ؛ أي جازاهم على مكرهم - فإن العدول إلى لفظ " المكر " في جانب الله لتربية الرهبة في نفوس الماكرين لأن الويل كله لمن مكر الله عليه))^{١٠٣} ، ((والأصل أخذهم بمكرهم))^{١٠٤}

ومثله قوله تعالى: ﴿ إِنْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۖ ﴿١٥﴾ وَكَيْدُهُمْ نَارٌ ﴿١٦﴾ الطارق: ١٥ - ١٦ ، ((وكيدهم هو ما دبروه في شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الإضرار به وإبطال أمره وأكيد كيداً هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب، للمشاكلة بين الفعلين))^{١٠٥} ، ((فهم يحتالون حيلة ، ونحن نحكم فعلاً ونبرم خلقاً،

ونجازيهم على كيدهم، بما نعاملهم به من الاستدراج والإيهام ((^{١٠٦}؛ لذلك أخذوا يوم بدر^{١٠٧} ، فذلك معنى الآية التي بعدها ﴿فَهَلْ أَكْفَرِينَ أَنهَلَهُمْ رَبُّكَ﴾ الطارق: ١٧.

٦ - الاستدراج بطريق الإيهام

((الإيهام: ويقال له: التخيل أيضاً، وهو أن يذكر لفظاً له معنيان: قريب، وغريب، فإذا سمعه الإنسان سبق إلى فهمه القريب، ومراد المتكلم الغريب، وأكثر المتشابهات من هذا الجنس))^(١٠٨)

ومن هذا الأسلوب ما جاء في سورة هود على لسان نبي الله نوح عليه السلام ودعوته لقومه ومحاورتهم واستدراجهم لقبول الحق بالأدلة العقلية والمنطقية، ثم اعترض قصة نوح ادعاء المشركين افتراء القرآن ، فقال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْنَاهُ فَعَلَىٰ عِزَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا يَحْكُمُونَ﴾ هود: ٣٥ ، ((وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعرض عن مجادلتيهم بالدليل لأنهم ليسوا بأهل لذلك إذ قد أقيمت عليهم الحجة غير مرة فلم تغن فيهم شيئاً، فلذلك أُجيبوا بأنه لو فرض ذلك لكانت تبعه افتراءه على نفسه لا ينالهم منها شيء).

وَتَقْدِيمِ (عَلَى) مُؤَذِّنٍ بِالْقَضْرِ، أَيْ إِجْرَامِي عَلَيَّ لَا عَلَيْكُمْ فَلَمَّا ذَا تُكْثِرُونَ ادِّعَاءَ الْإِفْتِرَاءِ كَأَنَّكُمْ سَتُؤَاخِذُونَ بِتَبِعَتِهِ، وَهَذَا جَارٍ عَلَى طَرِيقَةِ الاسْتِدْرَاجِ لَهُمْ وَالْكَلَامِ الْمُنْصِفِ))^{١٠٩}.

((وَذَكَرُ حَرْفِ (عَلَى) مَعَ الْإِجْرَامِ مُؤَذِّنٌ بِأَنَّ الْإِجْرَامَ مُوَآخِذٌ بِهِ كَمَا تَقْتَضِيهِ مَادَّةُ الْإِجْرَامِ))^{١١٠}

، وإنما جاء به إيهاماً لهم على سبيل الاستدراج ، ووقع بأن أمره الله تعالى أن (({قل} في جواب قولهم هذا {إن افتريته} أي قطعت كذبه {فعلي} أي خاصاً بي {إجرامي} أي وباله وعقابه دونكم وإذا استعلى عليّ الإجماع عُرف ذلك لأرباب العقول وظهر ظهوراً أفتضح به وأنتم أعرف الناس بأني أبعد من ذلك مما بين اجتماع الضدين وارتفاع النقيضين لما تعلمون مني من طهارة الشيم وعلو الهمم وطيب الذكر وشريف القدر وكريم الأمر، هذا لو كنت قادراً على ذلك فكيف وأنا وأنتم في العجز عنه سواء {وأنا بريء} أي غاية البراءة {مما تجرمون} أي توجدون إجرامه، ليس عليّ من إجرامكم عائد ضرر بعد أن أوضحت لكم وكشفت عنكم غطاء الشبه، إنما ضرره عليكم فاعملوا على تذكر هذا المعنى فإن سوق جوابهم على هذا الوجه أنكى لهم من إقامة حجة أخرى لأنهم يعلمون منه أنه إلزام لهم بالفضيحة لانقطاعهم لدى من له وعي))^{١١١}.

فالمتتبع للسياق يرى كيف استدرج قومه بأسلوب الإيهام والتخيل ليصل لمبتغاه في الدعوة فكأنه قيل : نعم ، إنهم يقولون ذلك ، فقيل : لا عليك فإنه قول يقصدون به مجرد العناد وهم يعلمون خلافه بعد ما قام عليهم من الحجج التي وصلوا معها إلى عين اليقين فلا يهمنك قولهم هذا ، فإنهم يجعلونه وسيلة إلى تركك بعض ما يوحى إليك فلا تفعل^{١١٢} .

٧- أسلوب إنصاف الخصم بصورة الإبهام

انماز كتاب الله بالحق والانصاف فهو تنزيل من لدن حكيم عليم وقد أنصف الكتاب العزيز الخصوم قبل غيرهم ، وهذا هو الحق والعدل الالهي ومما وقع في فن الاستدراج وجاء بأسلوب الإبهام قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُمْ لَمَلَكٌ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (سبأ: ٢٤) فجاء الاستدراج : في قوله تعالى : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » ((وَعَظَّفَ عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ إِبْرَارُ الْمُقْصِدِ بِطَرِيقَةِ خَفِيَّةٍ تُوقِعُ الْخَصْمَ فِي شَرِّكَ الْمَغْلُوبِيَّةِ وَذَلِكَ بِتَرْدِيدِ خَالَتِي الْفَرِيقَيْنِ بَيْنَ حَالَةِ هُدًى وَحَالَةِ ضَلَالٍ لِأَنَّ حَالَةَ كُلِّ فَرِيقٍ لَمَّا كَانَتْ عَلَى الضِّدِّ مِنْ حَالِ الْفَرِيقِ الْآخَرِ بَيْنَ مُوَافَقَةِ الْحَقِّ وَعَدَمِهَا، تَعَيَّنَ أَنَّ أَمْرَ الضَّلَالِ وَالْهُدَى دَائِرٌ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ لَا يَغْثَوَانِيهِمَا. وَلِذَلِكَ جِيءَ بِحَرْفِ أَوْ الْمُفِيدِ لِلتَّرْدِيدِ... وَهَذَا اللَّوْنُ مِنَ الْكَلَامِ يُسَمَّى الْكَلَامِ الْمُنْصَفَ وَهُوَ أَنْ لَا يَتْرَكَ الْمُجَادِلُ لِحُصْمِهِ مُوجِبَ تَغْيِطٍ وَاحْتِدَادٍ فِي الْجِدَالِ، وَيُسَمَّى فِي عِلْمِ الْمُنَاطَرَةِ إِرْخَاءَ الْعِنَانِ لِلْمُنَاطِرِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَفَرِينَةُ الْإِزْمِهِمُ الْحُجَّةَ قَرِينَةً وَاضِحَةً))^{١١٣}. فاستدرجهم بهذا الفن الذي يعد من البلاغة محورها الذي تدور عليه لأنه يستدرج الخصم ويضطره الى الإذعان والتسليم والعزوف عن المكابرة واللجاج فإنه لما ألزمهم الحجة خاطبهم بالكلام المنصف الذي يقول من سمعه للمخاطب به قد أنصفك صاحبك ونحوه قول الرجل لصاحبه : مني ومنك وإن أحننا لكاذب ، ومنه قول حسان بن ثابت :

أتهجوه ولست له بكفاء فشركما لخيركما الفداء^{١١٤}

وهو من قصيدة طويلة يهجو بها أبا سفيان قبل إسلامه والهمزة للاستفهام التوبيخي والواو حال أي لا ينبغي ذلك ، والجملة دعائية دعا عليه بأن يكون فداء لرسول الله وأبرزه في صورة الإبهام لأجل الإنصاف في الكلام ولذلك لما سمعه الحاضرون قالوا : هذا أنصف بيت قالته العرب. (١١٥)، فالسياق سياق محاجة فاستدرجهم بأقوى رد واعجزه لأنهم لا يستطيعون الإنكار وهو قوله تعالى (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ) فاستدرجهم بالرزق لأنه مقرون بالحق سبحانه يعرفونه حق المعرفة ، ولما كان كل شيء من الرزق متوقفاً على الكونين ، ذكر السموات والارض ، وكان في معرض الامتتان والتوبيخ فجمع بينهما ، فلما كانوا مقرين بالأمر أشار إلى ذلك بأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالإجابة إلى أنهم كالمكرين لهذا ، لأن إقرارهم به لم ينفعهم فقال : (قل الله) أي الملك الأعلى وحده ، وأمره بعد إقامة هذا الدليل البين بأن يُتبعه ما هو أشد عليهم من وقع النبل بطريق لا أنصف منه ، ولا يستطيع أحد أن يصوب إليه نوع طعن بأن يقول مؤكداً تنبيهاً على وجوب إنعام النظر في تمييز المحق من المبطل بالانخلاع من الهوى ، فإن الأمر في غاية الخطر وهذا من أعظم الاستدراج للإذعان للحق والتسليم له فقال لهم (وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُمْ لَمَلَكٌ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) فأراد تحريك عقولهم للهدى ولينصفهم غاية الانصاف

وليُعرفوا بعقولهم ويعينونه بهذه العقول ، وهل هناك غيره وهي كما قال ابن الجوزي وهذا كما تقول للرجل تكذبه : والله إن أحدا لكاذب ، وأنت تعينه تكذيباً غير مكشوف^{١١٦} .

الخاتمة

- ومن الملحوظات التي أردنا التنبيه عليها - تحقيقاً للفائدة - أن أغلب الآيات التي حوت هذا المصطلح ، وراعت أحوال المخاطبين جاءت مكية ؛ لأن الاستدراج وقع في المحاجبات مع الخصوم ، وأن التدرج في الدعوة من خصائص الخطاب المكي ؛ ولأنها تضمنت الكثير من الطرائق والدلائل المؤدية لهذا المعنى .

- يعد ابن الأثير أول من أشار إلى هذا الفن ، وتنبه له في كتاب الله تعالى ، وشرح وناقش الأدلة التي تقضي إلى الكثير من أحوال البلاغة ، كيف لا وقد استنبطه من القرآن الكريم ، لكن محيي الدين درويش لم يرتض نسبة هذا الفن لابن الأثير وزعم أنه استلب فكرته من الزمخشري ، لكن عدم تسمية هذا الفن لا يعدّ استخراجاً ولا اكتشافاً له ، أما تحليله في الكلام فقد تكلم عليه الكثير ، وجمعاً بين الرأيين فنرى أن ابن الأثير انقذ في ذهنه هذا الفن من تحليل الزمخشري لقصة إبراهيم عليه السلام ومحاورته لأبيه ؛ لذا أتى بها مباشرة منقولة بعد التعريف بهذا الفن .

- ألفاظ الاستدراج غلب عليها الاستعارة وهو تشبيه حال بحال كالأخذ ببطء بالاستدراج الذي حقيقته استصعاد درجة درجة ، أو تشبيهها بدرج الصبي الذي يريد المشي بعد الحبو ، ولا يخفى ما في الاستعارة من تصوير يعين في تقوية هذا الفن .

- مما يميز هذا الفن تداخل أغراضه في القصة الواحدة وفي السياق الواحد ، وأبرز ما يتأنق فيه من الأغراض : هو الملاطفة ، وإنصاف الخصم ، والمغالطات الخطابية ، والإيهام ، وحث الفكر وبعثه ، تجدها تتآزر لتؤدي هذا الأسلوب البديع .

الهوامش

- (١) مقاييس اللغة ٢/ ٢٧٥ ، والبيت لذي البجادين يخاطب ناقه رسول الله ﷺ. ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي ١/ ٣٣١.
 - (٢) لسان العرب ٢/ ٢٦٨ ، وينظر: التعريفات / ٢٠
 - (٣) البحر المحيط ٥/ ٢٣٣ ، وينظر: مجاز القرآن ١/ ٢٣٣ ، وتأويل مشكل القرآن / ١٠٦ ، والكشاف ٢/ ١٧١.
 - (٤) معاني القرآن للنحاس ٣/ ١٠٩.
 - (٥) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٢٩
 - (٦) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢/ ٢٨٧
 - (٧) التحرير والتنوير ٢٩/ ١٠١
 - (٨) الجامع الكبير / ٢٣٥.
 - (٩) جواهر الكنز / ١٥٦
 - (١٠) الأقصى القريب / ١٠٣.
 - (١١) ينظر: الفوائد المشوق ٢١٢.
 - (١٢) الكليات ١١٣ .
 - (١٣) الخلاصة: الخديعة باللسان، تقول منه: خَلَبَهُ يَخْلُبُهُ بالضم، واختلبه مثله. وفي المثل " إذا لم تغلب فاخلب " أي فاحدع ، والخَلْبَةُ: الخداعة من النساء. قال النمر بن تولب:
- أودى الشباب وحب الخالة الخُلبه * وقد برنت فما بالجسم من قُلبه
- الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية ١/ ١٢٢.
- (١٤) المثل السائر ٢/ ٦٨.
 - (١٥) إعراب القرآن وبيانه ٦/ ١١٠
 - (١٦) ينظر: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٣/ ٢٠ ، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور / ٢٣٥، وإعراب القرآن وبيانه ٦/ ١١٠
 - (١٧) التوقيف على مهمات التعاريف ١/ ٦١٤ ، وينظر: المفردات في غريب القرآن / ٧٢٨ .
 - (١٨) المفردات في غريب القرآن / ٧٢٨.
 - (١٩) التحرير والتنوير ٩/ ١٩٢.
 - (٢٠) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٢/ ٣٢١ .
 - (٢١) البحر المحيط في التفسير ٣/ ١٧٢
 - (٢٢) ينظر: المصدر نفسه .
 - (٢٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣/ ٧٨ ، وسيأتي التعريف بها قريباً.
 - (٢٤) التفسير المنير ١١/ ١٤٢.
 - (٢٥) تفسير الماوردي = النكت والعيون ١/ ٣٩٦.
 - (٢٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٤٥٧ .
 - (٢٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣/ ٧٨ .
 - (٢٨) تفسير السمعاني ٢/ ٢٦٠.
 - (٢٩) لسان العرب ٥/ ٢٩٦-٢٩٧ ، والبيت لأبي زبيد الطائي يصف الأسد، ينظر: الكتاب ١/ ٣١٣، والمخصص ٧/ ٣٩١.
 - (٣٠) هو أبو أسيدة الدبيري، ينظر هامش معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧١، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٢٧٨.
 - (٣١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧١.
 - (٣٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٢/ ٤١٤.
 - (٣٣) التفسير البياني للقرآن الكريم ٢/ ١٠٩.
 - (٣٤) المفردات في غريب القرآن / ٣٨٩.
 - (٣٥) تفسير السمعاني ١/ ٢١٢
 - (٣٦) التفسير القرآني للقرآن ٥/ ٥٢٩
 - (٣٧) ينظر: معاني القرآن وإعراجه للزجاج ١/ ٣٨٣
 - (٣٨) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٩/ ٤٣٩ ، وينظر: جامع البيان ط هجر (١٣/ ٥٤٤) ، و التحرير والتنوير ٩/ ١٩١ .
 - (٣٩) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣/ ٢١٦
 - (٤٠) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١/ ٤٧٢
 - (٤١) اللباب في علوم الكتاب ١١/ ٣١٠.
 - (٤٢) معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة / ٧٢-٧٣
 - (٤٣) المصدر نفسه / ٧٣.
 - (٤٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٥٨١
 - (٤٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١٠/ ٧٥٧، وينظر: اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٧٠
 - (٤٦) التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٧٠
 - (٤٧) الفروق اللغوية للعسكري / ٧٦
 - (٤٨) لطائف الإشارات = تفسير القشيري ٢/ ٥٥٢ - ٢/ ٥٥٣ .
 - (٤٩) جامع البيان ط هجر ١٠/ ٨٩
 - (٥٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١١/ ٥٧

- (٥١) القاموس المحيط / ٧١٢
- (٥٢) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ / ٤٤
- (٥٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١ / ١٥٣
- (٥٤) المصدر نفسه ، وينظر: زهرة التفاسير ١ / ١٢٤
- (٥٥) زهرة التفاسير ١ / ١٢٤
- (٥٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١ / ١٥٣
- (٥٧) زهرة التفاسير ١ / ١٢٤
- (٥٨) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١ / ١٥٣
- (٥٩) قرأ الحرمين والبصري بضم الياء وألف بعد الخاء وكسر الدال على وزن يجادلون أي يخادعون، والباقون بفتح الياء وإسكان الخاء وفتح الدال على وزن يفرحون أي يخذعون. غيث النفع في القراءات السبع / ٥٥
- (٦٠) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ / ٤٤-٤٥
- (٦١) ينظر: مفتاح العلوم / ١٦٢
- (٦٢) التحرير والتنوير ٩ / ١٩١
- (٦٣) جامع البيان ط هجر ١٠ / ٦٠٠
- (٦٤) التحرير والتنوير ٥ / ٢٣٩ ، وينظر البيت في مفتاح العلوم / ٤٢٤.
- (٦٥) التحرير والتنوير ٤ / ١٧٥
- (٦٦) المصدر نفسه
- (٦٧) المصدر نفسه (٩ / ١٩٣)
- (٦٨) المصدر نفسه
- (٦٩) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ت: غزوي / ٣٠١ ، والتحرير والتنوير ١ / ٤٦٠.
- (٧٠) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية ٢ / ٢٧٨-٢٧٩ .
- (٧١) ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾﴾ الأنعام: ٧٧
- (٧٢) ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغَوِّرُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾﴾ الأنعام: ٧٨
- (٧٣) التحرير والتنوير ٧ / ٣١٨ - ٣١٩
- (٧٤) المصدر نفسه ٧ / ٣١٩
- (٧٥) إعراب القرآن وبيانه ٣ / ١٥٧ ، وينظر: حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي = عنابه القاضي وكفاية الراضي ٤ / ٨٦
- (٧٦) الجدول في إعراب القرآن ٧ / ٢٠٢ ، وينظر: حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي = عنابه القاضي وكفاية الراضي ٤ / ٨٦
- (٧٧) روح المعاني ١٥ / ٢٥٧
- (٧٨) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٤ / ٧٠٨-٧٠٩ ، وينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢ / ١٣١٢
- (٧٩) مفتاح العلوم / ١٦١
- (٨٠) جامع البيان ط هجر ١٨ / ٣٦٨ ، وينظر: معاني القرآن للفراء ١ / ١٦٢
- (٨١) البرهان في علوم القرآن ٢ / ٢٩٠
- (٨٢) البلاغة العربية ٢ / ٢٩٣
- (٨٣) التحرير والتنوير ١ / ٧٣٠
- (٨٤) المصدر نفسه
- (٨٥) المصدر نفسه ١ / ٧٣١-٧٣٢
- (٨٦) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ت غزوي / ٣١٧
- (٨٧) ينظر: شرح نهج البلاغة ٧ / ٢٤١-٢٤٢.
- (٨٨) المصدر نفسه ٢ / ١٧٠
- (٨٩) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد (٢ / ٦٥) بتصرف
- (٩٠) المصدر نفسه ٢ / ٦٥-٦٦
- (٩١) التعريفات / ٢٢٣ ، وإعراب القرآن الكريم وبيانه: ١٠٩/٦.
- (٩٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ٢ / ٢٧٧
- (٩٣) إعراب القرآن وبيانه ٦ / ١١٠
- (٩٤) البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣١٣-٣١٤ ، ولم أجده في مفتاح العلوم.
- (٩٥) المفردات في غريب القرآن / ٨١٠
- (٩٦) ينظر: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٣ / ٧٤-٧٥ ، وإعراب القرآن وبيانه ٦ / ٢١٤
- (٩٧) روح المعاني ١ / ٣٩٤
- (٩٨) فتح البيان في مقاصد القرآن ٧ / ٦٢-٦٣
- (٩٩) لم أعثر عليه في ديوانه ، ينظر البيت في: حلية الأولياء ٥ / ٣٢٥.
- (١٠٠) الأساليب والإطلاقات العربية / ٦٢
- (١٠١) التوقيف على مهمات التعاريف / ٢٠٧
- (١٠٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ٣١٢

- (١٠٣) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢ / ٤٢٥
 (١٠٤) من بلاغة القرآن / ١٤٢
 (١٠٥) التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٤٧٢
 (١٠٦) لطائف الإشارات = تفسير القشيري ٣ / ٧١٦
 (١٠٧) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٠ / ١٨١
 (١٠٨) التعريفات / ٤١
 (١٠٩) التحرير والتنوير ١٢ / ٦٤
 (١١٠) المصدر نفسه
 (١١١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٩ / ٢٨١
 (١١٢) ينظر: المصدر نفسه
 (١١٣) التحرير والتنوير ٢٢ / ١٩٢
 (١١٤) ديوانه / ٢٠
 (١١٥) ينظر: إعراب القرآن وبيانه ٨ / ٩٢
 (١١٦) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٥ / ٤٩٨-٤٩٩

Sources

- 1 -Arabic Styles and Releases: Al-Minawi: The Comprehensive Library, Egypt - Edition: First, 1432 A.H. - 2011 A.D.
- 2 -The Expression and Explanation of the Qur'an: Muhyi al-Din Darwish (died 1403 AH): Dar al-Irshad - Syria, fourth edition, 1415 AH.
- 3 -Al-Aqsa Near: Al-Tanoukhi (died 749 AH) Al-Saada Press in Egypt, first edition 1327 AH.
- 4 -Victory in response to the wicked Qadarite Mu'tazila: Abu Al-Hussein Al-Shafi'i (d. 558 AH) Adwa' al-Salaf, Riyadh, - Edition: First, 1419 AH / 1999 AD
- 5 -Clarification in the sciences of rhetoric: Jalal al-Din, known as al-Khatib al-Qazwini (d. 739 AH) - Dar Ihya al-Ulum - 1419 AH 1998 AD
- 6 -The Ocean in Interpretation: Abu Hayyan Al-Andalusi (d. 745 A.H.): Dar Al-Fikr - Beirut Edition: 1420 A.H.
- 7 -The Long Sea in the Interpretation of the Glorious Qur'an: Ibn Ajiba Al-Hasani (d. 1224 AH) - Cairo, Edition: 1419 AH
- 8 -The proof in the sciences of the Qur'an: Muhammad bin Bahader Al-Zarkashi: House of Knowledge - Beirut, 1391
- 9 -Arabic Rhetoric: Abd al-Rahman Habanka al-Maidani (died 1425 AH): Dar al-Qalam, Damascus, - Edition: First, 1416 AH - 1996 AD
- 10 -Interpretation of the problem of the Qur'an: Ibn Qutayba al-Dinuri (d. 276 AH): Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon
- 11 -Editing and Enlightening: Al-Taher Bin Ashour (died 1393 AH): Tunisian Publishing House - Tunis: 1984 AD
- 12 -Definitions: Al-Sharif Al-Jurjani (d. 816 AH): Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon - Edition: First 1403 AH -1983 AD
- 13 -Tashil for the Science of Downloading: Ibn Juzay Al-Kalbi Al-Gharnati (died 741 AH): Dar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam - Beirut - Edition: First - 1416 AH
- 14 -The graphic interpretation of the Holy Qur'an: Bint Al-Shati (d. 1419 AH): Dar Al-Maaref - Cairo - Edition: Seven
- 15 -Tafsir al-Baydawi: Abdullah bin Omar al-Baydawi (d. 685 AH): House of Revival of Arab Heritage - Beirut - Edition: First - 1418 AH
- 16 -Modern interpretation: Muhammad Izzat Darwaza - House of Revival of Arabic Books, Cairo, 1383

-
- 17 -Tafsir Al-Samani: Abu Al-Mudhaffar, Al-Samani (d. 489 AH) Dar Al-Watan, Riyadh Edition: First, 1418 AH - 1997 AD
 - 18 -Qur'anic interpretation of the Qur'an: Abdul Karim Younis Al-Khatib (died after 1390 AH) - Arab Thought House - Cairo
 - 19 -Tafsir al-Mawardi = Jokes and Eyes: al-Mawardi (died 450 AH): Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut / Lebanon
 - 20 -Al-Tafsir al-Munir fi al-Aqeedah, Sharia and Method: Dr. Wahba bin Mustafa al-Zuhaili: House of Contemporary Thought - Damascus, Edition: Second, 1418 A.H.
 - 21 -Arrest on Definitions Tasks: Al-Manawi,: Dar Al-Fikr Al-Moaser, first edition, 1410
 - 22 -Jami' al-Bayan on the Interpretation of the Verses of the Qur'an: Abu Jaafar al-Tabari (d. 310 AH) Dar Hajar for Printing and Publishing - Edition: First, 1422 AH - 2001 AD
 - 23 -The Great Mosque in the Industry of the System from the Words and the Manthor: Dia Al-Din, known as Ibn Al-Atheer (d. 637 AH) Al-Majma' Al-Alami Press - 1375 AH
 - 24 -The Collector of the Rulings of the Qur'an: Abu Bakr Al-Qurtubi (d. 671 AH) Dar Alam Al-Kutub, Riyadh - Edition: 1423 AH / 2003 AD
 - 25 -The essence of treasure: Najm al-Din ibn al-Atheer al-Halabi (d. 737 AH), Alexandria Knowledge Foundation, 2009 AD.
 - 26 -The meteor's footnote on the interpretation of al-Baydawi: Shehab al-Din al-Khafaji (d. 1069 AH), Dar Sader - Beirut.
 - 27 -Ornament of the Guardians and the Layers of the Righteous: Abu Naim Al-Asbahani (died 430 AH): Happiness - next to the Governorate of Egypt, 1394 AH - 1974 AD
 - 28 -Characteristics of Quranic expression and its rhetorical features: Abdul Azim Al-Muta'ni (died 1429 AH): Wahba Library - Edition: First, 1413 AH - 1992 AD
 - 29 -Al-Durr Al-Masoon fi Al-Ulum Al-Kitab Al-Kitab: Abu Al-Abbas, known as Al-Samin Al-Halabi (d. 756 AH): Dar Al-Qalam, Damascus
 - 30 -Diwan Hassan bin Thabet: Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, second edition, 1414 AH - 1994 AD.
 - 31 -The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Repetitions: Abu al-Thana' al-Alusi (d. 1342 AH): House of Revival of Arab Heritage - Beirut
 - 32 -Zahrat al-Tafsir: Muhammad Abu Zahra (d. 1394 AH): House of Arab Thought
 - 33 -Explanation of Nahj al-Balaghah: Ibn Abi al-Hadid, (d. 656 AH) House of Revival of Arabic Books Issa al-Babi al-Halabi and Co.
 - 34 -Al-Sahah: Al-Jawhari (d. 393 AH) House of Science for Millions - Beirut, Fourth Edition: 1407 AH - 1987 AD
 - 35 -Al-Awasim and Al-Qawasim in the Refutation of the Sunnah of Abu Al-Qasim: Ibn Al-Wazir, (died 840 AH), achieved by the Al-Resala Foundation, Beirut - Third Edition, 1415 AH - 1994 AD
 - 36 -The strangeness of interpretation and the wonders of interpretation: Al-Kirmani Taj Al-Qura' (died about 505 AH): Dar Al-Qibla for Islamic Culture - Jeddah,
 - 37 -Gharib hadith: Abu al-Faraj known as Ibn al-Jawzi (d. 597 AH) Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, first edition, 1985.
 - 38 -Gharib Hadith: Ibn Qutayba Al-Dinori (died 276 AH) Al-Ani Press - Baghdad, Edition: First, 1397 AH.
 - 39 -Ghaith Al-Naf' in the Seven Readings: Al-Safaqi (died 1118 AH) Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut Edition: First, 1425 AH - 2004 AD

-
- 40 -Fath al-Bayan fi Maqasid al-Qur'an: Al-Qannuji (d. 1307 A.H.) Al-Asriya Library, Saida - Beirut: 1412 A.H. - 1992 A.D.
- 41 -Linguistic differences: Abu Hilal Al-Askari (d. about 395 AH) Dar Al-Ilm, Cairo - Egypt
- 42-Interesting benefits to the sciences of the Qur'an and the science of eloquence: Ibn Qayyim al-Jawziyya (d. 751 AH) Al-Sa'dah Press - Egypt - 1327 AH.
- 43-Surrounding Dictionary: Al-Fayrouzabadi (died 817 AH) Al-Resala Foundation, Beirut - 8th Edition, 1426 AH - 2005 AD
- 44-Book: Sibawayh (died 180 AH) Al-Khanji Library, Cairo Third Edition, 1408 AH - 1988 AD.
- 45-Al-Kashshaf: Al-Zamakhshari (d. 538 AH) House of Revival of Arab Heritage - Beirut
- 46-Revealing and clarifying the interpretation of the Qur'an: Al-Thalabi (d. 427 AH), House of Revival of Arab Heritage, Beirut - Lebanon, Edition: First 1422 AH - 2002 AD
- 47-Colleges: Abu Al-Baqa Al-Kafwi (died 1094 AH): Al-Resala Foundation - Beirut
- 48-Al-Labbaf fi Ulum al-Kitab: Ibn Adel al-Hanbali (died 775 AH) Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, first edition, 1419 AH - 1998 AD.
- 49-Lisan al-Arab: Ibn Manzur (died 711 AH): Dar Sader - Beirut - Edition: Third - 1414 AH
- 50-The signs of signs: Al-Qushayri (d. 465 AH) The Egyptian General Book Organization - Egypt - Edition: Third
- 51- The Proverb in the Literature of the Writer and Poet: Ibn Al-Atheer (d. 637 AH) Al-Asriyya Library - Beirut 1420 AH
- 52-Metaphor of the Qur'an: Abu Ubaidah (d. 209 AH) Al-Khanji Library - Cairo, Edition: 1381 AH
- 53-The brief editor in the interpretation of the dear book: Ibn Attia al-Andalusi - Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Lebanon - 1413 AH - 1993 AD Edition: First
- 54-Custom: Ibn Saydah (died 458 AH) House of Revival of Arab Heritage - Beirut Edition: First, 1417 AH 1996 AD.
- 55-Meanings of the Qur'an: Al-Nahhas (died 338 AH) Umm Al-Qura University - Makkah Al-Mukarramah, Edition: First, 1409
- 56-Meanings of the Qur'an: Al-Fara' (d. 207 AH) Dar Al-Masria for Composition and Translation - Egypt - Edition: First
- 57-The meanings and syntax of the Qur'an: Abu Ishaq al-Zajjaj (died: 311 AH) Alam al-Kutub - Beirut - Edition: First 1408 AH - 1988
- 58-The Battle of the Peers in the Miracles of the Qur'an: Al-Suyuti (d. 911 AH): Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut - Edition: First 1408 AH - 1988 AD
- 59-Dictionary of Linguistic Differences = Linguistic Differences in Order and Increase: Abu Hilal Al-Askari (d. about 395 A.H.) Islamic Publication Institution in Qom Edition: First, 1412 A.H.
- 60-Dictionary of Rhetorical Terms and Their Evolution: Dr. Ahmed Matlab, Iraqi Scientific Academy Press, 1406 AH - 1986 AD.
- 61-Keys to the Unseen: Fakhr Al-Din Al-Razi (d. 606 AH) House of Revival of Arab Heritage - Beirut Edition: Third - 1420 AH
- 62-Miftah al-Ulum: al-Sakaki (died 626 AH) Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Edition: Second, 1407 AH - 1987 AD
- 63-Vocabulary in the strangeness of the Qur'an: Al-Ragheb Al-Isfahani (d. 502 AH) Dar al-Qalam, - Damascus - Edition: First - 1412 AH

- 64 -Language standards: Ahmad bin Faris (died 395 AH) Dar Al-Fikr - 1399 AH - 1979 AD.
65 -From the eloquence of the Qur'an in expressing in the morning, the origin, the evening and the early morning: Dr. Muhammad Muhammad Abdel-Alim Desouki - Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University-2003
66- Nizam Al-Durar in proportion to verses and surahs: Ibrahim bin Omar Al-Beqai (d. 885 AH): Dar Al-Kitab Al-Islami, Cairo